وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامع قد البلي دة 2 كلية الآداب واللفات قسم اللغة العربية وآدابها

# محاضرات في النقد الأدبي القديم

\*\* لطلبة السنة الأولى ليسانس جذع مشترك \*\*

إعداد الدّكتور: صالح عقبي 2024/2023

عنوان الليسانس: النقد والمناهج.

السداسي: الأول (جذع مشترك).

الأستاذ المسؤول عن الوحدة التعليمية الأساسية:

الأستاذ المسؤول على المادة:

المادة: النقد الأدبي القديم.

أهداف التعليم: يتمكن الطالب من التمييز بين النصوص وفق العصور الأدبية القديمة.

المعارف المسبقة المطلوبة: الطلب سبق له معرفة أعلام النقد الأدبي القديم.

سي الأول: وحدة التعليم الأساسية مادة: مادة: النقد الأدبي القديم (1) المعامل:02 الرصيد:04	السداه
النقد العربي مفهومه وتطوره وجغرافيته في المشرق والمغرب	1
بيبليو غرافيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب	2
النقد الانطباعي مفهومه ومجالاته ونماذج من نصوصه	3
مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة والمغاربة	4
قضية الانتحال وتأصيل الشعر (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)	5
قضية الفحولة عند النقاد ( نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)	6
قضية عمود الشعر (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)	7
قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة وابن طباطبا و قذامه بن جعفر	8
قضية اللفظ والمعنى عند نقاد الأندلس والمغرب العربي	9
قضية الصدق ( نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)	10

الموازنات النقدية (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)	
نظرية النظم (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)	12
النقد البلاغي (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)	13
تراجم أعلام النقد في المشرق. الجرجاني	14

## طريقة التقييم:

يجري تقييم المحاضرات عن طريق امتحان في نهاية السداسي، بينما يكون تقييم الأعمال الموجهة متواصلا طوال السداسي

المراجع: (كتب، ومطبوعات، مواقع انترنت، الخ)

- 1. في الأدب العربي. شوقي ضيف.
- 2. الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم. عثمان موافي.
  - 3. قضايا النقد القديم. محمد صايل وعبد المعطى نمر.
    - 4. قضايا النقد الأدبي . بدوى طبانة.

## النقد العربى مفهومه وتطوره وجغرافيته فى المشرق والمغرب. -1

## مفهوم النقد في تراثنا العربي

## في معاجم اللغة:

أ- من معاني كلمة نقد في اللغة "تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، وتبين جيدها ورديئها وصحيحها وزائفها، استعملها سيبويه في وصف ناقة فقال:

تَنْفِي يداها الحَصني فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ ... نَفْيَ الدَّراهيمِ تَنْقَادُ الصَّيَاريفِ"(1).

أي أنها في سيرها كسرعة الصيرفي عد النقود، فهناك علاقة بين النقد وبين الفحص والاختبار وتمييز الجيد من الردىء.

ب- وجاء لفظ النقد بمعنى النظر، كقولنا: نقد الرجل الشيء أو نقد إليه: "أختلس النظر نحوه، وظل ينتقد بصره في الشيء: أدم النظر نحوه"(2).

ت-المعنى الثالث الفحص الاختبار: يقال: نقر الجوز بالإصبع لاختباره والتعرف على حاله، ومنه نقد الطائر في الفخ أي ضربه بمنقاره ليختبره، ويكشف عما وراءه من أمن أو خوف.

**ث**-ومن معاني كلمة نقد العيب الانتقاص: ومنه حديث أبي الدرداء: "إن نقدت الناس نقدوك، وان تركتهم تركوك"، أي إن فتشت عن خباياهم وعبتهم عابوك، ومنه نقدته الحية إذا لدغته.

## في الاصطلاح:

فقد نجد للنقد تعريفات في المفهوم الاصطلاحي، كالكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي، وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل، ومن يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها، ومن أوائل النصوص النقدية التي تتضمن كلمة نقد نص لابن سلام الجمحي في كتابة طبقات فحول الشعراء، حيث قرر أن للشعر: "صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه الأذن،

<sup>(1)</sup> ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، م3، حرف الدال، ص435.

<sup>(2)</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، م3، حرف الدال، ص435.

ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان، من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة بالبصر: ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جود ما بلون ولا بلمس ولا طراز ولا رسم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بجرجها وزائفها (3).

وحاول قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر تعريف النقد فقال: ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئة كتاباً، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة".

وأننا نجد كتباً أخرى قد تطرقت للنقد الأدبي من زوايا وجوانب مختلفة، فمن هذه الكتب: الشعر والشعراء لابن قتيبة، وعيار الشعر لابن طباطبا، والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي، والوساطة بين المتتبي وخصومه للقاضي الجرجاني والأغانى للصفهانى، والذخيرة لابن بسام.

فالدارس لمثل هذه الكتب حري بأن يرى أن العرب قد عرفوا "النقد الأدبي المعنى لا أسماً، أو عرفوه كما يقول الأستاذ طه إبراهيم: "كنها وحقيقة، وإن لم يعرفوه عنواناً لطائفة من المسائل".

يرى قدامة أن الشعر خمسة أقسام لها علوم تهتم بها: فهنالك علم يهتم بوزن الشعر وعروضه، وعلم يهتم بقوافيه ومقاطعه، وعلم يهتم بلغته وغريبه، وعلم يهتم بمعانيه، وعلم يهتم بتحديد الجيّد من الرديء من الشعر. وهذا الاهتمام الأخير ينص عليه قدامة في كتابه ويشخصه باهتمام، ويجد أنّ المهتمين بدرس الشعر لم يضعوا كتابا يبيّن كيفية تمييز جيّد الشعر من رديئة. فالنقد لديه تمييز جيّد الشعر من رديئة.

<sup>(3)</sup> بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود ، محمد شاكر ، الطبعة الثانية مطبعة المدني ، القاهرة ، 1974م ، الجزء الأول، ص5.

وأورد شوقي ضيف في مستهل كتابه النقد تعريفا للنقد عند القدماء فيقول: "
النقد تحليل القطع الأدبية وتقدير ما لها من قيمة فنية. ولم تأخذ الكلمة هذا المعنى
الاصطلاحي إلا منذ العصر العباسي... وقد كانت تستخدم بمعنى الذم والاستهجان.
واستخدمها الصيارفة في تمييز الصحيح من الزائف في الدراهم والدنانير، ومنهم
استعارها الباحثون في النصوص الأدبية ليدلوا بها على الملكة التي يستطيعون بها
معرفة الجيد من النصوص والرديء والجميل والقبيح وما تنتجه هذه الملكة في الأدب

ملاحظة: نخلص مما سبق إلى أن المعاني اللغوية للكلمة في أصل وضعها واستعمالاتها المختلفة تلتقى كلها عند معانى:

- النظر .
- الفحص.
- الاختبار.
- التمييز.
  - العيب.

فكل هذه المعانى اللغوية متصلة اتصالا وثيقا بالمعنى الاصطلاحي.

- نقد الدراهم....النظر والتأمل في العمل الأدبي.
- نقد البصر .....فحص واعى لعناصر العمل الأدبي.
- نقد الناس....التركيز على المآخذ أو المثالب في العمل الأدبي.

## كلمة النقد قديما بين الاستعمال والاصطلاح.

## أول نص وردت فيه لفظة نقد بالمعنى الاصطلاحى:

"أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى قال: حدثني على بن العبّاس قال: رآني البحتريُّ ومعي دفتر، فقال: ما هذا؟ فقلت: شعر الشَّنفري قال: وإلى أين تمضي؟ قال: رأيت أبا عباسيكم هذا منذ أيام، قلت: أقرؤه على أبي العباس أحمد بن يحيى

<sup>(3)</sup> شوقي ضيف، النقد، ط5، دار المعارف، مصر، 1954، ص9.

عند ابن ثوابه فما رأيته ناقدا للشعر، ولا مميزا للألفاظ، ورأيته يستجيد شيئا وينشده، وما هو بأفضل الشعر فقلت: أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى، ولكنه أعرف الناس بإعرابه"(5).

أول مؤلف في تراثنا العربي تضمن المعنى الاصطلاحي:

هو كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر، في أوائل القرن الرابع الهجري(337). وقد استخدم كلمة (نقد) بمعناها الاصطلاحي أي في الدلالة على التمييز بين الجيد والرديء في مجال الشعر والأدب، فمنذ ذلك بدأت النظرة إلى النقد بوصفه (علما).

#### جغرافيته في المشرق والمغرب:

شمل ازدهار النقد واتساع حركة التأليف المشرق والمغرب والأندلس. وعلى امتداد عصور طويلة ظهرت مصنفات نقدية عربية اعتنت بقضايا الشعر والأدب، وشكلت تراثا نقديا غنيا.

ففي القرن الثالث ظهر كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي، وكتاب (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) للجاحظ، وكتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة.

وفي القرن الرابع ألف ابن طباطبا (عيار الشعر)، وقدامة بن جعفر (نقد الشعر)، والآمدي (الموازنة)، والقاضى الجرجاني (الوساطة).

<sup>(4)</sup> العسكري، المضمون في الأدب، ط4، مطبعو حكومة الكويت، الكويت، 1984، ص4.

وفي القرن الخامس الهجري ظهر النقد البلاغي على يد عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة).

كما ظهر النقد في المغرب والأندلس متأثرا بالنقد في المشرق، ومن المؤلفات ذات الشهرة في المغرب (العمدة) لابن رشيق، و (الممتع في صنعة الشعر وعمله) لعبد الكريم النهشلي، و (مسائل الانتقاد) لابن شرف القيرواني، و (المقدمة) لابن خلدون.

ومن كتب الأندلسيين: (رسائل ابن حزم) لابن حزم، و(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام، و(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني وغيرها من الكتب التي سيتم تفصيل مضمونها وما حوته من قضايا نقدية في المحاضرة التالية.

نظرة دايكرونية للنقد العربى القديم.

نشأة النقد العربي القديم:

## أولا: عروبة النقد:

فالنقد عربي المولد والتطور، انطلاقا من كون النقد الأدبي ظهر في الشعر وظلت أكثر بحوثه في الشعر. ثم هو عربي النشأة كالشعر لم يتأثر بمؤثرات أجنبية، ولم يقم إلا على الذوق العربي السليم وقوله أيضا: إنه عربي في أعارضه ونهجه وأغراضه وروحه.

هكذا نخلص أن النقد الأدبي عند العرب نشأ عربيا، وظل عربيا صرفا، وذلك لأن أساس كل نقد هو الذوق الشخصي، تدعمه ملكة تحصل في النفس بدون ممارسة الآثار الأدبية. وهل من الخطأ أن يقال بأن النقد العربي ليس عربي النشأة فلقد وجد النقد الأدبي بصورته الأولى بعد أول مقطوعة شعرية قالها العرب، أي أنه كان ملازما للشعر، ونحن نعلم أن الشعر يثير بفضل خصائص صياغته أنواعا

خاصة من الانفعالات ومن المؤكد أن تكون هناك استجابات لهذا الانفعال في بعديها السلبي والإيجابي، وعن هذه الاستجابات يصدر حكم، وهذا الحكم هو: النقد، والذي لا شك فيه أن الاستجابات لم تكن فاترة وفي أخلاقهم عنف البداوة، كما أن في شعرهم ما يحرك ضروبا من الانفعال الشخصي والقبلي.

## ثانيا: نضج الشعر:

فالشعر الجاهلي "لم يعرف إلا ناضجا مكتملا متجاوزا مرحلة المقطعات إلى مرحلة القصيدة الكاملة ذات الروي الواحد و القافية الثابتة، إننا لا نعرف الشعر إلا ناضجا كاملا منسجم التفاعيل مؤتلف النظم، كما نقرأه في المعلقات وفي شعر عشرات الجاهلين الذين أدركوا الإسلام أو كادوا يدركونه"(6)

#### ثالثا: تثقيف الشعر:

وهي عملية يقوم بها الشعراء تجاه شعرهم عن طريق الزيادة والنقصان أو التقديم والتأخير. وقد عده طه أحمد إبراهيم مظهرا من مظاهر الحس النقدي عند شعراء الجاهلية، ومنهم رواد المدرسة الأوسية الذين نعتهم الأصمعي "عبيد الشعر"، وخاصة زهير صاحب الحوليات، فالشعراء من هذا المنظور يتوجهون إلى شعرهم، فيتدارسونه ويراجعونه ويحذفونه منه، ويضيفون إليه في تبصر وعمق. وكان كل هذا ضربا من الممارسة النقدية على نصوصهم الشعرية. وفي هذا الصدد يقول طه أحمد إبراهيم:" إن هذا الشعر مر بضروب كثيرة من التهذيب حتى بلغ ذلك الإتقان الذي نجده عليه، أواخر العصر الجاهلي... فلم يكن طفرة أن يهتدي العربي لوحدة الروي في القصيدة، ولا لوحدة حركة الروي، ولا للتصريع في أولها ولا لافتتاحها بالنسب والوقوف بالأطلال، لم يكن طفرة أن يعرف العرب كل تلك الأصول الشعرية في القصيدة، وكل تلك المواصفات في ابتداءاته مثلا وإنما ذلك كله بعد تجارب، وبعد

<sup>(5)</sup> طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ص 6، ط دار الحكمة بيروت، لبنان.

إصلاح وتهذيب. وهذا التهذيب هو النقد الأدبي." ما يؤكد أن القدماء لم يقبلوا كل ما يرد على خواطرهم بل ما يزالون ينقحون حتى يظفروا بأعمال جليلة، وهي أعمال كانوا يجيلون فيها الفكر متكلفين جهودا شاقة في التماس المعنى المصيب تارة، والتماس اللفظ المتخير تارة ثانية. يقودهم في ذلك بصر محكم يميزون به المعاني والألفاظ بعضها من بعض، بحيث يصونون كلامهم عما قد يفسده أو يهجنه ومن ذلك قول عدى بن الرقاع:

وَقَصِيدَةٍ قد بتَّأَجْمعُ بينها \* \* \* حتى أُقَوِّم مَيْلها وسِنادَها نظرَ المُثقَف في كعوب قناتِه \* \* \* حتى يُقيم ثِقافُه مُنْآدها

وقد اعتبر ابن قتيبة هذا اللون ضربا من التكلف في الشعر " فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش. وأفاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة و كان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة وأشباهها (من الشعراء) عبيد الشعر لأنهم نقحوه، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين "(7) وكان سويد بن كراع يذكر تتقيح شعره بقوله:

أبِيتُ بِأَبْوابِ القوافي كأنما \*\* \*أصادي بها سِرْبا من الوحشِ نُزَّعاَ أَكَالِئها حتى أعرِّس بعدما \*\* \* يكون سُحَيْرا وبُعَيْد فأهْجعا إذاخفْتُ أن تُرْوبعليَّ رددْتُها \*\* \* وراء التَّراقي خَشْية أن تطلعا وجشَّمني خوفُ ابن عفان ردها \*\* \* فثققتها حولا جريدا ومرْبَعا وقد كان في نفسي عليها زيادةً \*\* \* فلم أرَ إلا أن أطيع وأسمعا

#### رابعا:التلازم بين الشعر والنقد:

انطلاقا من أن النقد هو تلك المدرسة التي تعمل على إنضاج الشعر، وتخليصه من الشوائب التي علقت به لحظة ولادته وتكوينه، محاولا بذلك الرفع من مستواه، وجعله قابلا للتدوين والإعجاب، خاصة إذا علمنا أن أولية الشعر ترتكز على تصور جمالي فني محدد: في مثل هذا العهد نعد نقدا كل ماله مساس بالأدب

<sup>(&</sup>lt;sup>6)</sup> ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص78.

بنية ومعنى، وإن لم يتصل بالبحث في الجمال الفني، فذم الإقواء نقد في الجاهلية، لأنه يعيب أمرا لعله من آثار طفولة الشعر.

# خصائص النقد في العصر الجاهلي"(8):

## 1-التعميم في الأحكام:

إذ كان النقد الجاهلي في أول مرة ساذجا سذاجة البيئة الطبيعية والاجتماعية، فكان النقاد يطلقون أحكاما متنوعة على الشعر في أيامهم، تتناول الشاعر والقصيدة جملة، وقد يكون هذا الحكم مبنيا عندهم على إعجابهم ببيت من أبيات القصيدة أو بجزء من البيت، وقد يرجع هذا الحكم إلى إعجابهم بالشاعر نفسه وبشخصيته.

## 2- الذوق الفطري:

لقد صدرت الأحكام النقدية الجاهلية متسمة بالذوق الفطري الذي يعتمد على إحساس الناقد المباشر بالمعنى أو الفكرة، فهو يتلقاها ويحسها بذوقه الفج، وفطرته الساذجة. ولهذا تصدر أحكامه مرتجلة نتيجة لهذا التذوق المباشر فطرفة بن العبد وهو صبي لم يستسغ وصف الجمل بوصف الناقة فيصيح قائلا في وجه خاله المتلمس:"استوق الجمل".والنابغة يستنكر على حسان بن ثابت استعمال القلة في مقام الفخر في قوله:

لنا الجفناتُ الغرِّ يلمعن بالضحى \* \* \* وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فعلق على هذا البيت أبو بكر الصولي بقوله: "فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدل على نقاء كلام النابغة، وديباجة شعره، وقال له: أقللت أسيافك، لأنه قال: وأسيافنا: جمع لأدنى العدد، والكثير "سيوف"، والجفنات لأدنى العدد والكثير "جفان". وقد اعتمد في ذلك على ذوقه الفطري الذي صقلته ثقافته العربية الواسعة، وأحاطته بعادات قومهم وقيمهم.

<sup>(&</sup>lt;sup>7)</sup> قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2003، ص30...

## 3- الارتجال في الأحكام:

وهذه السمة تتصل اتصالا مباشرا بالذوق الفطري الذي يعد أساسا هاما في صدور الأحكام النقدية، غير أن هذه الظاهرة تعد أثرا من آثار التذوق. فبعد أن يتذوق الناقد الشعر يصدر حكمه إما ارتجالا، وإما بعد إثبات وروية ودراسة موضوعية لنواحي الجودة أو الرداءة، لكن السمة الغالبة في النقد الجاهلي هي سمة الارتجال، والبعد عن الدراسة التفصيلية للقصيدة والتحليل لها.

#### 4- عدم وجود منهج:

وهو شيء طبيعي في مرحلة البداوة، وهي مرحلة تطغى عليها السذاجة والفطرة والعفوية. فقد كان العربي يأخذ ويرد بناء على فطرته إذ يستطيع بإحساسه أن يبدع أجمل الشعر، دون أن يحتاج إلى عقل ناضج فكان طبيعيا أن يكون النقد غير ممنهج، وغير خاضع لنظر طويل، انطلاقا من التلازم المتواجد بين الشعر والنقد. فكان بذلك النقد جزئيا مسرفا في التعميم يحكم للشاعر له أو عليه من خلال البيت الواحد أو الشطر الواحد دون أن يكلف نفسه عناء الأخذ بالإنتاج برمته. من تم فالنقد الممنهج لن يظهر إلا مع رجل نما تفكيره، واستطاع أن يخضع ذوقه لنظر العقل.

#### 5- عدم التعليل المفصل:

وهو شرط لم يكن متوفرا لعرب البداوة، إذ التعليل يعتمد العقل والتفكير العربي فطري. والتعليل يبغي وضع مبادئ عامة. والعرب لم تكون بعد مبادئ علومها اللغوية إلا مع العهد العباسي. والتعليل يأتي بعد وضع القواعد. والقواعد لم توضح في سائر العلوم إلا في القرن الثالث الهجري. والتعليل ينص على ضرورة انفصال العلوم بعضها عن الآخر، وهذا لم يتم إلا في مرحلة متأخرة من مراحل تطور الفكر عند العرب، والتعليل يبغي أولا وأخيرا التدوين – وكلنا نعلم متى ظهر التدوين – إذا، في غياب هذه المسائل الموجدة للتعليل يغيب التعليل، وفي غياب التعليل يغيب النقليل، وفي غياب التعليل يغيب النقليل الموجدة الممنهج والمنظم.

## سبب غياب التعليل في النقد الجاهلي؟"(9):

#### 1-عدم الاستقرار:

فعدم الاستقرار كان السبب الرئيس في غياب التعليل للأحكام النقدية الجاهلية، ولما تحقق الاستقرار في العصر العباسي ظهرت الأحكام النقدية المعللة.

## 2-غياب التأليف:

إذ أن معظم تراث الأمة كان يتناول شفهيا: "ومثل هذا المنهج لا يمكن أن يتحقق حين يكون أكثر تراث الأمة شفويا، إذ الاتجاه الشفوي لا يمكن من الفحص و التأمل، وإن سمح بقسط من التذوق و التأثر، ولهذا تأخر النقد المعلل حتى تأثلت قواعد التأليف.

### 3-غياب الإحساس بالتغيير والتطور:

إذ في نظره أن هذا العنصر هو الذي يسترعي انتباه ملكة النقد، وتجر الذهن الله حدوث مفارقة ما وإدراكها، وفي غيابه تهيمن سلطة النموذج على الثقافة. وهذا بالفعل ما حدث على العهد الجاهلي والأموي، إذ كان النموذج القديم مهيمنا، وبقيت الثقافة العربية رهينة له. فهو قبلة لكل جميل ورائع من الشعر مما أدى إلى حجب حقيقة التطور و التغير عن العيون، ولن يبدأ الإحساس بهذا العنصر إلا مع تغير الأذواق وتحول النماذج إلى نماذج جديدة وذلك مع تعدد ينابيع الثقافة، وتباين مستوياتها، والاصطدام بتيارات جديدة.

## صور من النقد في العصر الجاهلي:

من المسلم به أن ميلاد المصطلح في كل علم أو فن هو الخطوة تالية لوجود العلم الذي يطلق عليه أو الظاهرة التي يشير إليها، وسوف نرى أن تراثنا العربي منذ العصر الجاهلي يحفل بكثير من الآراء النقدية الانطباعية الذاتية، في

<sup>(8)</sup> قصى الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2003، ص30...

صورة مجملة غير معللة في أغلب الأحيان، ولا تستند إلى أسس ومعروفة أو مقاييس مألوفة فيصدرون أحكامهم بالاستحسان أو الاستهجان دون تحليل أو تعليل وسوف نورد الروايات التي تحدثنا عن طريقتهم في نقدهم، (دون الإشارة إلى مصطلح النقد).

# أولا: النقد اللغوي "(10):

سمع طرفة بن العبد خاله المتلمس يقول:

ألا أنعم صباحا أيها الربع وسلم \*\* \* نحييك من شحط وان لم تكلام فلما انتهى إلى قوله:

وَقَد أَتَناسى الهَمَ عِندَ إحتِضارِه \*\*\* بِناجِ عَلَيهِ الصَيعَرِيَّةُ مُكدَم

قال طرفة (استنوق الجمل) يريد أن الشاعر وهو يصف الجمل قد ذكر من أوصافه ما يخص الناقة، فأنه بذلك قد حوله إلى ناقة، وذلك لأن الصيعرية سمة تكون بعنق الناقة، ولا تكون للبعير.

## ثانيا: النقد المعنوى "(11):

#### أ- المبالغة:

أي النظر في ملائمة المبالغة للطبع الجاهلي.

تطرق النقد في العصر الجاهلي إلى الغلو في المبالغة وعدها من عيوب الشعر. فعيب على مهلهل بن ربيعة الغلو في بادعاء ما هو ممتنع عقلا وعادة واعتبر أول من سن هذه السنة في الشعر في قوله:

فولا الريح أسمع أهل هجر \*\*\* صليل البيض تقرع بالذكور

قيل هذا أكذب بيت قالته العرب، لأن مكان الشاعر على شاطئ الفرات في بلاد الشام، وهجر هي اليمامة التي تقع شمال الرياض حاليا، والمسافة بينها أيام.

<sup>.30</sup> سامي يوسف أبو زيد، النقد العربي القديم، ط1، دار المسيرة، عمان، 2013، ص $^{(9)}$ 

<sup>( 10)</sup> سامي يوسف أبو زيد، النقد العربي القديم، ص 31.

فالناقد يحاول أن يحكم عقله ومنطقه على الأشياء، والذي قاله مهلهل بن ربيعة أبعد ما يكون عن المنطق والقبول.

# ب- الملائمة بين الألفاظ والمعاني "(12):

كان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء، فتعرض عليه أشعارها، فكان أول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير، أنشده قصيدته التي أولها:

ما بكاء الكبير بالأطلال \* \* \*وسؤالي وما ترد سؤالي

ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعَنَ بِالْضُحَى \*\*\* وَأَسِيافُنَا يَقَطُرنَ مِن نَجِدَةٍ دَمَا وَلَدنا بَني الْعَنقاءِ وَابني مُحَرِّقٍ \*\*\* فَأَكْرِم بِنَا خَالاً وَأَكْرِم بِنَا إِبنَما

فقال له النابغة: أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك.

#### التحليل:

فقال النابغة: لولا أن أبا بصيرٍ أنشدني قبلكِ، لقلتُ: إنكِ أشعرُ الجنِّ والإنس، فقال حسان: "لأنا أشعرُ منك ومِن أبيك ومِن جدك، فقال له النابغة: إنك لشاعرٌ، لولا أنك قلَّت الجفنات فقلَّت العدد (جمع قلة)، ولو قلت: الجِفان (جمع كثرة)، كان أكثر، وقلت: يلمَعْنَ بالضحى، ولو قلت: يشرقنَ بالدُّجى، كان أبلغ، وقلت: يقطرُن، ولو قلت: يجرين، كان أبلغ، وفخرتَ بما ولدتَ، ولم تفخَرْ بمن ولَدك، على أنك يا بني لا تحسن أن تقول:

<sup>( 11 )</sup> وجيهة محمد المكاوي، في النقد الأدبي القديم، ط1، دار العلم والإيمان، 2016 ، ص53.

وإِنْ خِلْتَ أَنَّ المنتأى عنك واسعُ \* \* \* فإنَّك كالليلِ الذي هو مُدْركي "(13):

#### في الشاهد:

نقد من جهة ملائمة الألفاظ للمعاني، يدل على أن الشاعر النابغة كان واعي بالتقاليد والعادات الجاهلية، وبمعاني الألفاظ ومواضع استعمالها، كما يدل على ذوقه النقدي.

كما نجد أن النابغة اعترف لحسان بأنه شاعر. وفي بيت الأول ألفاظ لا تتناسب مع المعانى التى تعبر عنها.

وفي البيت الثاني خروج عن تقاليد وعادات العرب.

## ت - جودة الشعر و مدى أدائه للقيم الجمالية:

ومن أقدم ما عرف عن النقد عند الجاهليين حكومة أم جندب الطائية بين أمرئ القيس علقمة الفحل، فهي كما تقول الرواية: إن الشاعرين احتكما إليها في أيهما أشعر ؟! فاقترحت عليهما أن ينشد كل منهما قصيدة في موضوع واحد ومن بحر واحد، وقافية متحدة، فلما أنشداها القصيدتين، قالت لزوجها: علقمة أشعر منك، قال كيف؟. قالت: لأنك قلت:

فلسوط ألهوب، وللساق درة \* \* وللزجر منه وقع أخرج مهذب .

وجهدت فرسك بسوطك في زجرك، ومريته فأتعبته بساقك، وقال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه \* \* \* يمر كمر الرائح المتحلب .

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه، لم يضربه ولم يتعبه "(14):

#### التحليل:

فإذا نظرنا إلى هذا النموذج نلاحظ أن كلا من الشاعرين وصف فرسه في حال الجري، فعلقمة قد وصف المثل الأعلى لجري الفرس، فبالغ إذ جعل فرسه يدرك الصيد، وصاحبه علقمة الراكب عليه ثنى عنانه، ولم يضربه بسوطه،

<sup>(1 &</sup>lt;sup>2)</sup> الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص330.

<sup>.2019–218</sup> ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص218–2019.

ولم يتعقبه ولم يكلفه فوق طاقته، فطاقته عالية لأنه أقوى الأفراس وأسرعها، وإذا استطاع أن يدرك الصيد بقوته المعتادة دون جهد منه، ودون إجهاد له من راكبه.

وأما امرؤ القيس فقد وصف واقع فرسه فبين أنه ألهبه بسوطه، وأجهده بزجره، ولولا الضرب والزجر ما أسرع الفرس.

ولقد نظرت زوج امرؤ القيس إلى الصورة المثلى للفرس، وما ينبغي أن يكون له من قوة وسرعة فجعلته المقياس الذي تحكم به للشاعر أو عليه، ومن هنا حكمت لعلقمة بالتفوق والشاعرية، وخذلت زوجها امرأ القيس.

وبهذا نعلم أن حكم أم جندب يدل على أنها تريد من الشاعر أن يصور الكمال الواقع في الحياة لا الحال الواقع فعلاً.. فليس المطلوب من الشاعر في نظرها أن يكون صادقا في تصويره واقعياً في نظرته وإنما ينبغي أن ينظر إلى المثل الأعلى فيجب أن يكون جواد امرئ القيس، أصلب عودا، وأجمل منظراً، وأكثر سرعة، وأشد احتمالا، وألا يلهبه فارسه بسوط ولا يسرجه بساق، ولا يزجره بصوت.

## دلالة نقد أم جندب:

- أم جندب تريد مقياسا تسند عليه في الموازنة: هو وحدة الروي، ووحدة القافية، ووحدة الغرض، وهذا يكفي لأن يكون دليلا على أن النقد في بعض الأحيان لم يكن سليقة وفطرة.
  - نقد جزئى يحكم على شعرية الشاعر ببعض أبيات.
- أن مصطلحات (الروي.القافية.) لم تكن معروفه في الجاهلية،ما جعل بن المعتز ينكر هذه القصة.

1-النقد (العروضي)"(15):

الإقواع هو: اختلاف حركة الروي مما يؤدي إلى خلل موسيقي.

 $<sup>^{(14)}</sup>$  الأصفهاني، الأغاني، ج15، ص158–159.

ذكروا انه لم يقو احد من الطبقة الأولى ولا من أشباههم إلا النابغة الذبياني في قوله:

أَمِن آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَو مُغتَدِ \* \* عَجلانَ ذا زادٍ وَغَيرَ مُزَوَّدِ زَعَمَ الْبَوارِحُ أَنَّ رِحلَتنا عَداً \* \* \* وَبِذاكَ خَبَّرَنا الْغُدافُ الْأَسوَدُ سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إسقاطَهُ \* \* \* فَتَتَاوَلَتهُ وَاِتَّقَتنا بِالبَدِ بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كَأَنَّ بَنانَهُ \* \* \* عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَطافَةِ يُعقَدِ

#### التحليل:

كان العروض يجري على الفطرة عند الشعراء، ومن ذلك النابغة الذبياني لما ذهب يثرب أنشد بيتين قال فيهما: الأسود، عوض الأسود. في الأبيات: نقد عروضي.

#### 2-المفاضلة بين الشعراء:

من صور نقد الشعر الذاتية عند الجاهليين، تقديما شاعرا على غيره تقديما مطلقا دون إبداء رأي يسوغ التقديم. من ذلك أن النابغة الذبياني جلس على قبته في سوق عكاظ فدخل إليه حسّان بن ثابت وعنده الأعشى، وكان قد أنشد الأعشى شعره.

ثم حضرت الخنساء، فأنشدته قصيدتها التي مطلعها:

قَذَى بِعَينِكِ أَم بِالْعَينِ عُوّارُ ... أَم ذَرَّفَت إِذ خَلَت مِن أَهلِها الدارُ " حتى انتهت إلى قولها:

وَإِنَّ صَخرًا لَتَأْتَمَّ الهُداةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأْسِهِ نارُ

# وَإِنَّ صَخَرًا لَمُولِانا وَسَيِّدُنا ... وَإِنَّ صَخَرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَّارُ

قال النابغة: لولا أن أبا بصيرٍ (يقصد الأعشى) أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس "(16):

#### التحليل:

إن النقد القائم على المفاضلة بين الشعراء لم يكن ليستند على أي من المقاييس والمعايير العلمية التي قد تساعد الناقد في الوصول إلى حكمه على الأدب والأديب، بل كان يستند إلى الذائقة الأدبية التي اكتسبها النقاد بفعل اطلاعهم على الشعر وروايتهم له، فالعرب في الوقت الذي امتد من العصر الجاهلي وحتى أواخر العصر الأموي لم يكونوا قد عرفوا البلاغة والبيان والعروض كعلوم لها قواعد وأسس تبنى عليها، وإنما كانوا قد نالوا منها قسطًا وافرًا فطرت عليه عقولهم وسارت على قواعده ألسنتهم دون إدراك علمي مسبق.

فالنقد هنا من باب: تقديم الشعراء على بعضهم البعض.

# النقد في العصر الأموي

اشتد العصف السياسي في العصر الأموي، اشتدادا قويا، بسبب الصراع على الخلافة، بين الأمويين والهاشميين والزبيريين، وما انشق عنهم من أحزاب سياسية وفرق دينية، فكان منها ما يوالي ومنها ما يعارض. وسحب الجدال السياسي والديني أذياله، على منابر وساحات هؤلاء جميعا، ثم استتبعه الجدل الثقافي وأصبحت له ساحاته و منابره الخاصة.

وقد لاحت سماء الأدب العربي معالم لثلاث مدارس أدبية: واحدة في الحجاز والثانية في العراق والثالثة في الشام.

<sup>(1 &</sup>lt;sup>5)</sup> الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص330.

## 1 مدرسة الحجاز:

الحجاز خزانة للأموال التي جمعها الأمراء و القادة الجيوش الإسلامية، إذ اكتست أهمية كبيرة وازدادت أهمية في العصر الأموي. فشهدت الثراء و الاستقرار، و قد نتج عن هذا الترف، ظهور الغناء مع مجيء الجواري من مختلف النواحي، فتفشى الفساد، وقد كانت الحجاز من ناحية أخرى، مركزا دينيا، يدرس فيه القرآن ويشرح فيه الحديث، فصار العديد من الرجال المسلمين يفدون إليه من مختلف الأقطار الإسلامية، ليأخذوا عن رجاله علمهم بالكتاب والسنة، فكان الحجاز مركزا دينيا وبيئة للهو الترف معا.

وقد ازداد تدفق الأموال على الحجاز من الشام "مركز الخلافة". دفع هذا الجو المترف الناس، نحو الأخذ بمتع الحياة و اللهو و الغناء و الموسيقى، وقد عكس الشعراء ذلك في شعرهم، و مالوا إلى الغزل الذي صور الواقع المعاش، وطبع النقد بنفس السمة،إذ انكب النقاد على دراسة هذا اللون من الشعر، ومن أبرز الأسماء الناقدة شخصيات هامتان: "ابن أبي عتيق" و "السيدة سكينة بنت الحسين ابن أبي طالب". حيث كان يلتقي بها الشعراء، فتناقشهم في قصائدهم،و مما ورد عنها،حكمها على بيت جرير:

طرقت صائدة القلوب و ليس ذا \* \* \* حين الزيارة فارجعي بسلام

فقالت: "أفلا أخذت بيدها ورحبت بها، وقلت ادخلي بسلام؟ أنت رجل عفيف"، إذ فرقت بين الكلام عن الأحاسيس العاطفية والأخلاق، فالشاعر يتكلم عن العواطف لا عن الأخلاق، وحين نستقبل عزيزا ليس كما نستقبل شخصا عاديا وردعنها كذلك لـ "نُصَيْب"

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت \* \* فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

فعابت عليه السيدة سكينة، صرف نظره إلى من يعيش مع "دعد" ورأت من الصواب أن يقول:

أهيم بدعد ما حبيت فإن أمت \*\*\* فلا صلحت دعد لذي خُلَّة بعدي "(17):

أما "ابن أبي العتيق" فقد تميز بنقد شعر "عمر بن أبي ربيعة"، إذ قال هذا الأخير منشدا في غرض الغزل:

بينما ينعتني أبصرنني \*\* \* دون قيد الميل يعدو بي الأغر قالت الكبرى أتعرفن الفت \*\* قالت الوسطى:نعم هذا عمر قالت الكبرى أتعرف و قد تيمتها \*\* قد عرفناه و هل يخفى القمر؟ قالت الصغرى و قد تيمتها \*\* قد عرفناه و هل يخفى القمر؟ فقال ابن أبي عتيق معلقا: أنت لم تنسب بها، وإنما نسبت بنفسك،أي تغزل بنفسه. سمع عمر ابن أبي ربيعة "كُثِيراً " يقول:

ألا ليتنا يا عزَّ كنّا لذي غِنًى \*\* بعيرَينِ نرْعى في الخلاءِ ونَعْزُبُ نكونُ بعيرَي ذي غِنًى فيُضيعُنا \*\* فلا هو يرعانا ولا نحنُ نُطلبُ كلانا به عُرِّ فمن يرَنا يقُلْ \*\* على حُسنها جرْباءُ تُعْدي وأجرَبُ إذا ما وردْنا منهلاً صاحَ أهلُه \*\* علينا فما ننفكُ نُرْمى ونُضربُ وددْتُ وبيتِ الله أنّكِ بكْرة \*\* هجانٌ وأنّي مُصعبٌ ثمَّ نَهْرب

فقال عمر: تمنيت لها ولنفسك الرِّق والجرب و الرمي والطرد والمسخ، فأي مكروه لم تتمنه لك ولها؟ لقد أصابها منك قول القائل: "معاداة عاقل خير من مودة أحمق "(18):

<sup>(1 &</sup>lt;sup>6)</sup> الأصفهاني، الأغاني، ج 3، 208.

هذا وقد حدد النقاد الحجازيون "الغلو والمبالغة" مقياسا، في رسم العاطفة. ومن ثمة صار إذا ما عبر الشاعر عن عاطفته بغلو، أو بصورة خارجة عن المألوف، كانت غريبة مضحكة، تشبه النوادر.قال عمر بن أبي ربيعة شعرا فيه فلو:

و من كان محزونا بإهراق عبرة \*\*\* و هي غربها فليأتنا نبكه غدا فعنه على الأثكال إن كان ثاكلا \*\*\* و إن كان محزونا و إن كان مقصدا

فمضى ابن أبي عتيق إلى عمر، وقال له: "جئناك لموعدك، قال: وأي موعد بيننا؟ قال: قولك: "فليأتنا نبكه غدا". وقد جئناك والله لا نبرح أو تبكي، إن كنت صادقا، أو ننصرف على أنك غير صادق، ثم مضى وتركه.

إنّ مثل هذه الصورة زائدة عن اللزوم، في التعبير عن الأحاسيس العاطفية، والمواقف الإنسانية. بالتالي فهي صورة سافرة غير مقبولة؛ لأنها غير صادقة.

#### 2 . مدرسة العراق:

اختلف الشعر في بيئة العراق عما كان عليه في الحجاز والشام. فالشعر في العراق يشبه إلى حد كبير الشعر الجاهلي، في مضمونه و أسلوبه، ويعود ذلك إلى عامل العصبية القبلية، التي ظهرت مجددا، بعد أن تلاشت في صدر الإسلام، حيث نبذها الإسلام. وتمثلت أغلب موضوعات الشعر في العراق: في الفخر والاعتزاز وهجاء الخصوم، بالهجاء المر المقذع. أما غرض الغزل و غيره من الأغراض، فكانت ليست ذات أهمية وقليلة الرواج. فانحصر الشعر في "النقائض"، التي حمل لواءها الثالوث الخطير: "الفرزدق، جرير والأخطل". الذين جعلوا من العراق أشهر مكان للتنافس في هذا اللون من الشعر. مما ساعد في انتشار "النقائض" ولموع الناس

<sup>(1 &</sup>lt;sup>7)</sup>الأصفهاني، الأغاني، ج 1، 118.

به في أسواق الشعر. كان لكل شاعر حلقة ينشد فيها شعره، و يحمس أنصاره في جو مملوء بالهرج والنقاش، حتى قيل أن والي البصرة، ضبح بما أحدثه هؤلاء الشعراء، من صخب واضطراب في أوساط الناس، فأمر بهدم منازلهم "(19):

وقيل أن "الأخطل" تحالف مع "الفرزدق" ضد "جرير"، لكن جرير أفحمهما شعرا. وقيل أن أكثر من أربعين شاعرا، تحالفوا ضده فأسكتهم، لقدراته و مهاراته في هذا الفن،حتى اعتبر الشاعر الذي لا يسير على طريقة هؤلاء في المدح و الهجاء، شاعرا متخلفا وضعيفا. حيث قال "ذو الرمة" "للفرزدق": {مالي لا ألحق بكم معشر الفحول؟ فقال له: لتجافيك في المدح و الهجاء واقتصارك على الرسوم و الديار}. أي أنه ينظم على منوال القدماء. فالنقد في العراق تلاءم مع طبيعة البيئة العراقية، و ما كان فيها من شعر، حيث اتجه النقاد إلى الموازنة بين الشعراء و أيُّ الثلاثة أشعر؟ وسموا هذا قضاء، والذي يحكم قاضيا، و سموا "الحكم" و "الحاكم: "حكومة".

قال جرير في الأخطل لما فضل الفرزدق عليه في بني شيبان فدعوا الحكومة لستموا من أهلها \*\*\* إنّ الحكومة في بني شيبان

لم يكن هذا النوع من النقد الوحيد في العراق، لأن هناك بعض الشعراء من قال شعرا خارج النقائض. لذلك عُنِيَ النقاد بمميزات الشاعر. وما تفرد به عن غيره، والبحث عن مواطن قوته وضعفه وموازنته بغيره وإصدار الحكم عليه. حكم الفرزدق على النابغة الجعدي بأنه صاحب خلقان. فالبيت عنده يساوي آلاف الدراهم وليست لا يساوي درهما. وهو حكمه على ذي الرمة بجودة شعره لولا وقوفه عند البكاء والدمن.

وحكم على الأخطل بأنه يجيد مدح الملوك.و موازنة الأخطل بين جرير والفرزدق بأن جريرا يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر. إلى جانب نقد الموازنة في شعر النقائض. والنقد الذي عني بإبراز ما نفرّد به بعض الشعراء عن

<sup>( 18)</sup> قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه، ص167...

غيرهم. فهناك نقد يُعنى بالمعاني الجزئية في شعر الشاعر دون موازنته بغيره.فقد نقد "الحجاج الفرزدق" حين مدحه قائلا:

من يأمن الحجاج و الطير تتقي \* \* \* عقوبته إلا ضعيف العزائم

فقال الحجاج: "الطير تتقي كل شيء،حتى الثوب و الصبي. وفضل عليه قول جرير في نفس المعنى:

من يأمن الحجاج أما عقابه \*\* \* فمر وأما عهده فوثيق مدرسة الشام"(20):

إذا كان أكبر مظهر للأدب في الحجاز هو الغزل، و أكبر مظهر للأدب في العراق الفخر و الهجاء، فإن أكبر مظهر للأدب في الشام هو المديح، ولذلك اختلفت الحركة النقدية في الشام على ما كانت عليه في الحجاز والعراق، وفقد عاشت الحركة النقدية هناك في بلاط الخلفاء الأمويين و قصورهم في مختلف الأقاليم و الأمصار، وسبب ذلك أن دمشق كانت عاصمة الخلافة الأموية، يفد الشعراء إلى خلفائها من كل حدب وصوب، وكان بنوا أمية عربا، أقحاحا فصحاء، يتنوقون الشعر ويعجبون به ويطربون لسماعه، ويكافئون الشعراء عليه، وكانت قصورهم شبه منتديات للشعر ومراكز للمناقشات، في مختلف القضايا الأدبية،و ما يناسب القصور شجع الخلفاء الشعراء على مدحهم، والرد على خصومهم "شيعة" و "زبيريين"، شجع الخلفاء الشعراء على مدحهم، والرد على خصومهم "شيعة" و "زبيريين"، ومنحوهم مقابل ذلك جوائز مالية معتبرة. ومن أبرز هؤلاء الشعراء "كثير عزة" و"الأخطل". وقد ارتبط النقد بطبيعة الشعر. ومن أشهر نماذج شعر المديح ذاك الذي كان يُعرض على "عبد الملك بن مروان"، إذ كان يملك ذوقا رفيعا مكّنه من الفهم العميق لمحتوى الشعر و صياغة و توجيه الشعراء وإرشادهم.

<sup>(19)</sup> سامي يوسف أبو زيد، النقد العربي القديم، ص68.

تميزت حركة النقد في الشام بميزتين: "النقد الرسمي" و "النقد الفني". أما النقد الرسمي فهو ذلك الذي يمثل وجه الخلاف في الرؤيا بين الشاعر وبين الخليفة الممدوح في رسم صورته الشخصية، لأن رجل السلطة يرى نفسه شخصية متميزة غير عادية، ومن ثم كان على الشاعر أن يأخذ ذلك في الحسبان، ومن ذلك ما جرى بين عبد الملك بن مروان وابن قيس الرقيات، حين مدحه بقصيدة جاء فيها:

إنَّ الأغرّ الذي أبوه أبو \*\*\* العاص عليه الوقار و الحُجُبُ يعتدل التاج فوق مفرقه \*\*\* على جبين كأنه الذهب

فقال الخليفة: "يا ابن قيس، تمدحني بالتاج كأني من العجم!، وتمدح مصعبا كأنه شهب من الله . إشارة إلى قول الشاعر:

إنما مصعب شهاب من الله \*\* \* تجلت عن وجهه الظلماء

و قال جرير في يزيد بن عبد الملك:

هذا ابن عمى في دمشق خليفة \* \* لو شئت ساقهم إلى قطينا

فعلق يزيد على معنى البيت قائلا: "يقول لي ابن عمي، ثم يقول لوشئت ساقهم إلى أما لو قال: لو شاء ساقهم لأصاب، فقد جعلني شرطيا له.

لقد لفت عبد الملك بن مروان الشعر إلى رسم الصورة الشعرية، بما يناسب مقامه، وإبراز الفضائل الخلقية والدينية التي تشير إلى إعجاب الرعية، والدالة على التقوى والعدل و الفضيلة. وكان تقدير عبد الملك للمقام وإحساسه بجودة المعنى وجمال الصورة إحساسا دقيقا، ينم عن قوة وعمق تذوقه للشعر، فقد أنشده راعي الإبل مرة:

أخليفة الرحمان إنّا معشر \*\*\* حنفاء نسجد بكرة و أصيلا

## عرب نرى الله في أموالنا \*\*\* حق الزكاة منزّلا تنزيلا

فقال له: ليس هذا بشعر، إنما هو شرح إسلام وقراءة آية، ويعني بذلك أنَّ مثل هذا الشعر قيِّم في مضمونه، جاف فقير من الناحية الفنية، وبالتالي ليس بالشعر الجيد الذي ينبغي أن يكون كذلك في المعنى والمبنى.

المحاضرة الثانية: النقد الأدبى في العصر العباسي"(21):

#### تمهيد:

كان العصر العباسي عصر قوة وازدهار و تحضر، وكان أيضا عصر تر وبذخ، وتحول فيه الشعر والأدب إلى صناعة، بعد أن كان ينجم عن طبع وسليقة. وتعاظمت الثقافة واتسعت، فشملت فروع المعرفة كلها، بالإضافة إلى ما ورد إليها من ثقافات أجنبية: فارسية، هندية و يونانية. وتحولت هذه المعارف إلى علوم: علوم اللغة والأدب والنحو والصرف... وتحول الذوق الأدبي إلى ذوق مثقف ثقافة علمية واسعة، وتأثر النقد الأدبى بهذا التطور.

جمع العلماء العرب أشعار الجاهليين والإسلاميين، فكوّنوا مادة أدبية غزيرة، كما جمعوا مادة اللغة، واطلعوا على أقوال النقاد السابقين، كما نُقِلت إليهم أقوال الفرس والهندوس واليونان في معنى البلاغة و شروطها، مما أفسح لهم مجال النقد، فارتقى الذوق و تبلور النقد وأصبح أكثر نضجا مما كان عليه قبلا. حيث سار النقد الأدبى في هذا العصر على نمطين:

### 1. الأول:

هو مجرد امتداد للنقد الجاهلي والإسلامي،متماشيا مع ما فرضته البيئة عليه من تحول، فكان علماء اللغة والأدب من النقاد، أمثال: "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، "الكسائي" و "الأصمعي"،...كانوا يستعرضون أشعار الجاهليين و الإسلاميين،

<sup>( 20)</sup> وجيهة محمد المكاوي، في النقد الأدبي القديم، ص141.

و ينتقدون شعرهم ويُبدون رأيهم فيه، فيقولون: {إن شعر النابغة قوي الصناعة شديد الأسر، وشعر امرئ القيس غزير بالمعاني التي لم يسبق إليها، وشعر جرير أسهل وأرق، وشعر الفرزدق أقسى وأصلب، إلى غير ذلك.}

كان هؤلاء العلماء يتنازعون في أفضلية الشعراء، فكان "المفضل الضبي" يقدم الفرزدق على جرير، "وأبو عمرو بن العلاء" يقدم الأخطل، ثم جرير ثم الفرزدق. كان علماء الكوفة مثلا: يقدمون الأعشى على من في طبقته، وعلماء البصرة يقدمون امرأ القيس، وأهل الحجاز يقدمون النابغة وزهيرا. وهذا راجع لأسباب منها: أنَّ بعض العلماء كان يحب الغريب من الألفاظ، فيقدم من الشعراء من يستعمل الغريب، ومنهم من يحب الغزل، فيقدم أكثرهم غزلا، ومنهم من يحب النحو فيقدم الفرزدق؛ لإكثاره من التقديم والتأخير ونحو ذلك.

كما وازنوا بين الشعراء، فقال "أبو عمرو بن العلاء" في "أوس بن حجر": {أنه كان فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه}. وقال بأن {"عدي بن زيد" في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضا ولا يجري معها.}. واستعرضوا شعر الشعراء و أبانوا عن موضع نبوغهم وضعفهم، فقالوا: "طفيل الغنوي: أعلم العرب بالخيل وأوصفهم لها، وامرؤ القيس لَيُحسِن وصف المطر، وعنترة يحسن ذكر الآخروب، وأُمية بن أبي الصلّلت يحسن ذكر الآخرة، وعمر بن أبي ربيعة يحسن ذكر الشباب. وشبهوا جريرا بالأعشى، الفرزدق بزهير والأخطل بالنابغة.

استعرضوا الشعراء الذين تواردوا في شعرهم على معنى واحد، ففضلوا قولاً على قول، إذ فضلوا في الصبر على النوائب قول "دريد بن الصمة":

يغار علينا واترين فيُشْتَفَى \*\*\* بنا إن أصبنا أو نغير على وتر بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة \*\*\* فما ينقضى إلا و نحن على شطر

وقالوا: أجود بيت، قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا \*\*\* وأندى العالمين بُطون راح

يشبه هذا النوع من النقد إلى حد بعيد، ماكان موجودا في العصر الأموي، إلا أنه أعمق منه وأوسع، لأن المادة الأدبية عندهم أغزر وأوفر، كما أنهم تفرغوا له فأصبح صناعة عندهم، إذ كان نقدهم معللا وليس مجرد أحكام. فضل "الخلف الأحمر" قصيدة "مروان بن حفصة" التي مطلعها:

طرقتك زائرة فحييِّ جمالها \* \* \* بيضاء تُخلط بالجمال دلالها.

على قصيدة "الأعشى" التي مطلعا:

رحلت سمية غدوة أجمالها \*\*\* فأصاب حبة قلبه و طحالها

فقال الخلف الأحمر معلقا على هذه القصيدة: { والطحال ما دخل في شيء قط إلا أفسده، وأما قصيدة مروان سليمة كلها، وهكذا من الأحكام المبنية على التعليل.

#### ثانیا:

وهو النقد الجديد المحدث، الذي لم سبق إليه ايتميز بالعلمية في النقد، هو نمط التأليف ووضع الكتب، التي تتعرض للنقد وما يتصل به، فكانت البصرة سباقة لذلك الفضل الحركة العلمية التي زخرت بها هذه الأخيرة، إذ ظهر فيها أول حركة للاعتزال؛ وكان المعتزلة أول من وضع قواعد البلاغة الحاجتهم إليها في الدعوة وإقامة الحجج، حيث وضع "بِشر بن المعتمر" "الصحيفة الخالدة" في البلاغة، ثم تبعه "الجاحظ". بهذا انقسم النقد في العصر العباسي إلى قسمين: "قسم الأحرار وقسم المحافظين"، فكان "بشار بن برد"، "مسلم بن الوليد" و .... من المجددين الذين حملوا على عاتقهم مهمة تجديد المعاني والأسلوب.

هذا الانقسام في النقد بين المحافظة و التجديد، أدّى إلى انقسام النقاد بين: مؤيد للجديد ومعارض له، وظهرت طبقة أخرى حكمت على الأعمال الأدبية من مقياس الفن والصناعة، فكانت تقيس الشعر بهذا المقياس، فما أظهر المقياس ضعفه ضعف ولو كان قديا، وما أظهر المقياس جودته حُكِمَ بجودته ولو كان حديثا.

كان للحزبين أثر على الأدب "الشعر"، إذ نجم عنهما شعراء تحرروا من قيود القصيدة القديمة وخرجوا عن تقاليدها، مثل ما نجده في قصائد "أبي نواس"، أما المحافظون فقد تخوفوا من الخروج عن قواعد القصيد العربية القديمة، فينالوا بذلك السَّخَطَ والنقد.

استند النقد في العصر الجاهلي والأموي على الذوق وحده، فلما جاء العصر العباسي تحول النقد إلى علم له قواعد و أصول. وكان "ابن سلام الجمحي" من أوائل النقاد في العصر العباسي من دعى إلى التقعيد والتأصيل، من خلال كتابه "طبقات الشعراء" الذي قال: {قال قائل لخلف: إذا سمعت أنا الشعر واستحسنته، فما أبالي ما قلت في أنت وأصحابك. قال له الخلف: إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف، إنه رديء، هل ينفعك استحسانك له؟}. وقال أيضا: "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان. ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت: لا يعرفان بصفة أو وزن، دون معاينته ممن يبصره...}، محاولا ترتيب الشعراء في طبقات، مركزا على الذوق المثقف الواعي والعالم، وليس على الذوق العادي، في الحكم على الأعمال الأدبية.

جاء بعده ابن قتيبة "الشعر والشعراء"، "أدب الكاتب"، الذي تميز ب:

عدم التفريق في الوزن بين القديم والمحدث فرّق بين الروح العلمية والذوق الأدبي، كما نوه إلى أن اشتغال الأديب بالمصطلحات الفلسفية، لا يفيد في الأدب، بل يضعف ذوقه.

وبعده "ابن المعتز" كتاب "البديع" الذي نبّه إلى وجود البديع في الشعر الجاهلي والإسلامي. ثم ظهر العديد من العلماء مثل: "قدامة بن جعفر" كتاب "نقد الشعر"، "جواهر الألفاظ"،"صناعة الكتابة"، "السكاكي" "مفتاح العلوم"، الصولي: "أدب الكتاب"، "شرح ديوان أبي تمام"، "الآمدي" "الموازنة"، "أبو الفرج الأصفهاني" "الأغاني"، "أبو الهلال العسكري" "الصناعتين"، "عبد القاهر الجرجاني" "دلائل الإعجاز" "أسرار البلاغة"، "ابن رشيق القيرواني" "العمدة"...خاض هؤلاء العلماء في

العديد من القضايا النقدية ك: اللفظ والمعنى،الوضوح و الغموض، الفحولة، الجديد والقديم، السرقات،...

## 2- بيبليوغرافيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب.

#### تمهيد:

بدأ النقاد منذ القرن الثالث الهجري ينزعون إلى البحث والتأليف. تأخذهم الرغبة في ضبط عملية الإنتاج الأدبي بالمعايير والقوانين المناسبة لتكون عونا للمنتج والقارئ على حد السواء. وهذه بيبليوغرافيا لأهم هذه المصنفات النقدية القديمة في المشرق والأندلس والمغرب:

أولا: المصنفات المشرقية:

\* مصنفات القرن الثالث:

 $^{(22)}$ : طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت $^{(22)}$ :

يعتبر هذا الكتاب أول محاولة نقدية جادة بما جمعته من آراء في النقد العربي، فكان -بذلك- ابن سلام واضع أول لبنة في النقد العربي.

ويعد ابن سلام "أول من نص على استقلال النقد الأدبي فأفرد الناقد بدور خاص، حيث جعل للشعر اليور النقده والحكم عليه "صناعة" يتقنها "أهل العلم بها"، مثلما أن ناقد الدراهم والدينار يعرف صحيحهما من زائفهما بالمعاينة والنظر".

<sup>( 21)</sup> طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

وقد قسمه صاحبه إلى قسمين: تضمن القسم الأول مقدمة، كشف فيها صاحبها عن الشعر وطبيعته، وعن ضرورة أن يكون له متخصصون في نقده وروايته، ومسألة الانتحال، ونشأة الشعر عند العرب وعلوم العربية.

وتتاول القسم الثاني تصنيف الشعراء إلى طبقات، هي: طبقة الجاهليين، طبقة الإسلاميين، طبقة شعراء المراثي، طبقة شعراء القرى العربية، طبقة شعراء اليهود.

# $^{(23)}$ عتاب الحيوان $^{(23)}$ وكتاب البيان والتبيين $^{(24)}$ للجاحظ (ت 255 هـ):

لم يضع الجاحظ كتابا خاصا في موضوع النقد، إنما آراؤه النقدية مبثوثة في كتابيه (الحيوان) و(البيان والتبيين). فلقد كان الجاحظ "بما أوتي من علم وذكاء وشخصية متفردة من خير من يحسنون تأسيس النقد على أصول نظرية وتطبيقية، ولكنه شغل عنه بشؤون أخرى كثيرة، واقتصر في الميدان النقدي على وقفات قصيرة معدودة...".

ويعد الكتابان المذكوران من أشهر مؤلفات الجاحظ، وخاصة كتاب (البيان والتبيين). وقد تتاول فيه صاحبه مباحث في البيان والبلاغة والخطابة العربية والشعر العربي.

<sup>( 22)</sup> الجاحظ، الحيوان، ط2، مصطفى البابي الحلبي، تحقيق: عبد السلام هارون، 1965.

<sup>( 23)</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ط7، مكتبة الخانجي، تحقيق: عبد السلام هارون، 1998.

ومن الأفكار النقدية المبثوثة في الكتابين معا: ماهية الشعر وجوهره، مصدر الشعر والطبع، بناء لغة الشعر، الشعر والطبع، بناء لغة الشعر، القديم والحديث، الخطابة العربية، وغيرها من القضايا.

# $^{(25)}$ (ه $^{(25)}$ (ت $^{(25)}$ ه $^{(25)}$ ):

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب النقدية في القرن الثالث بعد (طبقات) ابن سلام. تضمن مقدمة تتاولت آراء نقدية وقضايا مهمة نذكر منها: اللفظ والمعنى، بناء القصيدة وثقافة الناقد، الطبع والتكلف، القديم والحديث. ومتن ترجم فيه صاحبه لمجموعة من الشعراء، يزيد عددهم على ما ذكره ابن سلام لعدم خضوع ابن قتيبة لفكرة التعصب للقديم.

# 4- كتاب البديع لابن المعتز (ت**296 هـ)** :

مؤلفه هو أبو العباس عبد الله بن المتوكل من الخلفاء العباسيين، لكنه لم يبق في الحكم سوى يوما وليلة. كان شاعرا مطبوعا، وأديبا تثقف على المبرد وثعلب. من كتبه: (طبقات الشعراء)، (أشعار الملوك)، (كتاب السرقات)، (الجامع في الغناء)، (كتاب الزهر والرياض).

يعتبر كتاب (البديع) حسب النقاد أول بحث منهجي في البلاغة والنقد. وضعه ابن المعتز سنة (274 هـ). ويشتمل على خمسة أبواب تمثل فنون البديع

<sup>( 24)</sup> ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أخمد محمد شاكر، دار المعارف، 1982.

<sup>( 25)</sup> عبد الله بن المعتز ، البديع ، تحقيق : عرفان مطرحي ، ط1 ، 2013 .

الأساسية هي: الاستعارة، التجنيس، المطابقة، ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها، المذهب الكلامي. أضاف إليها مباحث بلاغية هي: الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل الذي يراد به الجد، التضمين، التعريض، الكناية، الإفراط في الصنعة، وحسن التشبيه.

وقد أراد بذلك أن العرب قالت في البديع، وعرفت به قبل أبي تمام وغيره من الشعراء المحدثين. كما وضع التدليل على ذلك ما أمكنه من الأمثلة المتنوعة، من الشعر ومن القرآن الكريم، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة رضوان الله عليهم، وأشعار الجاهليين.

ويمثل هذا الكتاب -إضافة إلى أنه من أبرز كتب القرن الثالث- "النواة الصالحة لعلم البلاغة العربية ولا يمس النقد الأدبي إلا بطريقة عارضة من حيث أن النقاد من بعد شغلوا أنفسهم ببعض هذا المصطلح البلاغي في تقويمهم للشعر".

#### \* مصنفات القرن الرابع:

# 1- كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي (ت 322 هـ) (27):

وهو من المصادر النقدية المهمة. وموضوعاته هي: تعريف الشعر، صنعة الشعر، فنون الشعر العربي وأساليبه، عيار الشعر، ويقصد به الوسائل التي يعرف بها جيد الشعر من رديئه.

<sup>( 26)</sup> ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الستار، ط2، دار الكتب العلمية، 2005.

كما تكلم عن التشبيه وأدواته، معاني الشعر، الوحدة العضوية، الإبداع الشعري ومراحله، السرقة الشعرية، الصدق وثقافة الشاعر.

# (28) (ت 337 من جعفر (ت 337هـ) -2

مؤلفه هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد. كان واسع العلم في اللغة والحساب والأدب والكلام والفلسفة.

والكتاب أول مصدر نقدي وردت فيه كلمة نقد صريحة.

وقد احتذى فيه قدامة بن جعفر حذو أرسطو في كتابه (الخطابة). أما أهم القضايا النقدية الواردة في فيه فهي: تعريف الشعر، أسباب الشعر ومكوناته الرئيسية، أوصاف الشعر، طبيعة الشعر، الغلو والمبالغة في تناول المعاني.

# (29) الموازنة بين الطائبين للآمدي (ت 371 هـ)

عنوان الكتاب هو: (الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وابن عبادة الوليد بن عبيد البحتري في شعريهما). صاحبه هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي الآمدي الأصل البصري المولد والنشأة. من علماء القرن الرابع الهجري، فهو لغوي وأديب له كتب أخرى غير الموازنة منها: (تفضيل امرئ القيس على غيره من الشعراء)، (المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء)، (معاني شعر البحتري) وغيرها.

<sup>(27)</sup> قدامة بن جعقر ، نقد الشعر ، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العالمية، 2007.

<sup>( 28)</sup> الآمدي، الموازنة، تحقيق: السيد أحمد الصقر، دار المعارف، 2007ط4، 1994.

وقد انطوى على مادة نقدية ثرية، تدخل في صميم النقد التطبيقي. ومنهجه في الموازنة هو: ذكر مساوئ الشاعرين ومحاسنهما، سرقات أبي تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره، مساوئ البحتري فيما أخذه من أبي تمام، غلطه في بعض معانيه، الموازنة بين شعريهما بموازنة قصائد للشاعرين اتفقت في الوزن والقافية وإعراب القافية وبين معانيهما. وبذلك بنيت الموازنة عنده على أربعة أقسام هي:

أ- محاجة بين خصوم أبي تمام وخصوم البحتري.

ب- دراسة لسرقات الشاعرين.

ج- نقد أخطاء ومعايب الشاعرين ومحاسنهما.

د- موازنة تفصيلية بين معاني الشاعرين.

وبذلك تكون موازنة منهجية من ناحية المفاضلة ومن ناحية استنباط الخصائص، ما جعل الكتاب يعد وثبة في تاريخ النقد العربي.

# 4 - الوساطة بين المتنبي وخصومة للقاضي الجرجاني (ت392هـ) $^{(30)}$ :

مؤلفه هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المشهور بالقاضي. ولد في جرجان عام 290ه. له عدة تصانيف منها: (تفسير القرآن)، (تهذيب التاريخ).

يعتبر كتاب الوساطة مثالا للنقد الأدبي المنهجي. وهو كتاب جاء ليوقف العاصفة التي أثارها شعر المتبي والخصومة التي دارت حوله ولم تتوقف. وقد جعل له صاحبه مقدمة وضّح فيها منهجه العام في النقد تمهيدا للدفاع عن المتنبي، تلاها

<sup>( 29)</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992...

دفاع عن الشاعر. فالمتنبي كغيره من الشعراء ظهر في شعره الخطأ والإحالة والسرقة كما ظهر في شعر غيره، وبذلك تتجلى ما يمكن تسميته بالوساطة.

وقد عالج الكتاب مجموعة من القضايا النقدية منها: القديم والحديث، والطبع والصنعة، السرقات، عمود الشعر.

#### \* مصنفات القرن الخامس الهجري:

1- كتاب دلائل الإعجاز (31) وكتاب وأسرار البلاغة (32) لعبد القاهر الجرجاني (21 هـ):

بنى عبد القاهر كتابه (دلائل الإعجاز) على فكرة النظم. كما أوضح أن اللغة ليست مجموعة ألفاظ، وإنما مجموعة من العلاقات.

أما كتاب (أسرار البلاغة) فتتاول علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وبعض ألوان البديع. كما يجمع النقاد أن النقد الموجود في الكتابين أدق نقد موضوعي تطبيقي وأعمقه.

ثانيا: المصنفات الأندلسية:

 $^{(33)}$  عناب منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ت $^{(84)}$  ه $^{(33)}$ :

<sup>( 30)</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة

<sup>(31)</sup> قدامة بن جعقر، نقد الشعر، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العالمية، 2007.

<sup>(32)</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي، ط3، 1986.

مزج هذا الكتاب بين البلاغة والنقد. وهو في أربعة أقسام ضاع الأول منها تماما، ولكن الأقسام المتبقية تضم فكرا نقدية لامعة يظهر فيها حازم ناقدا ألمعيا.

تناول القسم الثاني المعاني الشعرية، والثالث النظم والقوانين البلاغية، أما القسم الرابع فتناول الطرق الشعرية. والقضايا النقدية الموجودة في الكتاب يمكن ذكرها فيما يلي: المعاني الشعرية، الأغراض الشعرية، القديم والحديث، السرقات الشعرية، الأوزان، التخبيل، المحاكاة.

#### ثالثًا: المصنفات المغربية:

# $^{(34)}$ ( عناب العمدة لابن رشيق $^{(34)}$ هـ $^{(34)}$ :

وهو من الكتب التي تمثل النقد المغربي بامتياز وبخاصة النقد الجزائري القديم. وهو واسع الشهرة في مجال النقد الأدبي. وقد ألفه صاحبه في جزأين، في كل جزء عدة أبواب، يجمع بينهما خط واحد هو الحديث عن الشعر، وتدور موضوعات الكتاب بصورة أساسية حول الشعر، فبيّن فضله، وطبيعته، وصياغته، وأوزانه وقوافيه، وألفاظه، ومعانيه، وبلاغته. كما تكلم عن عدة قضايا نقدية كمفهوم الشعر، المطبوع والمصنوع، القديم والحديث، السرقات الشعرية، واللفظ والمعنى.

ومنهجه في الكتاب يقوم على الاجتهاد والنقل، فقد أخذ عن النقاد السابقين ولكنه اجتهد في هذا النقل وأبدى رأيه فيه. ويندرج كتاب (العمدة) ضمن النقد النظري والتطبيقي.

<sup>( 33)</sup> ابن رشيق، العمدة، تحقيق: محيي الدين بن عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981.

وفي الأخير هناك مصنفات نقدية في المشرق والمغرب والأندلس لم نذكرها تفاديا للإطالة، ولا بأس أن نذكرها فقط دون تفصيل، فهناك (فحولة الشعراء) للأصمعي (ت210ه)، و (أخبار أبي تمام) لأبي بكر الصولي (ت335ه)، و (حلية المحاضرة) للحاتمي (ت388ه)، وكتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري (ت395ه)، وكتاب (شرح ديوان الحماسة) للمرزوقي (ت421ه)، و (سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي (ت466ه)، و (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير (ت637هه) هذا في المشرق.

أما في المغرب فهناك كتاب (أعلام الكلام) أو (رسائل الانتقاد) لابن شرف القيرواني (ت460هـ)، و(المقدمة) لابن خلدون (ت808هـ).

وفي الأندلس نجد (العقد الفريد) لابن عبد ربه (ت328هـ)، وغيرها.

#### 3- النقد الانطباعي مفهومه ومجالاته ونماذج من نصوصه

#### تمهيد:

يقوم النقد -بما أنه فن دراسة العمل الأدبي-، بتحليل الأثر الأدبي وتفسيره وتقدير قيمته الفنية. وقد مارسه العرب منذ العصر الجاهلي، ولكنه لم يتكئ على قوانين وأسس علمية واضحة متفق عليها، وهذا ما سمح بوصفه بالانطباعية الخالصة، لصدور أحكامه عن الفطرة والإحساس، وتميزها بالجزئية.

#### أولا: مفهوم النقد الانطباعي:

هو "نقد لم يصدر عن تفكير عميق، ولا عن تأمل ودراسة معمقة، يخضع للمزاج الخاص الفردي، لذلك يكون أحكاما جزئية عامة سريعة غير معللة، يصف فيها الناقد النص ولا يبين الأسباب التي دفعته إلى ذلك".

ولأنه مبني على الانفعال والتأثر والنظرة العجلى، ولم يبن على قواعد وأسس علمية صحيحة متفق عليها، فإنه يتميز بالسذاجة والبساطة والمبالغة في إصدار الأحكام.

وبالنظر إلى ذلك، يمكن الجزم بأن كثيرا من الآراء النقدية التي شكلت اللبنات الأولى للنقد الأدبي العربي في عصوره الأولى، تندرج ضمن هذا النوع من النقد، انطلاقا مما اتصفت به من بساطة في التعليل وانقياد واضح للإحساس والانطباع، واقتصاره على عبارات معينة، كأن يقول الناقد: هذا أشعر بيت، هذه أجمل قصيدة، هذا أشعر الجن والإنس...، "حيث كان الناقد يعتمد على ذوقه وانطباعه الفطري، يوجه نقده للشعر في كلمة أو جملة تجاه بيت أو عدة أبيات كانت قد تركت في نفسه أثرا معينا، لان الانطباع البسيط فطري في الإنسان "(35):

<sup>(34)</sup> إبراهيم صدقة، التأثرية والنقد التأثري عند محمد مندور، رسالة ماجستير، المعهد الوطني للتعليم العالي في اللغة العربية وآدابها، باتنة، الجزائر، 1986، ص 22.

#### ثانیا: نماذج وصور منه:

\*صور النقد الانطباعي كثيرة وخاصة في العصر الجاهلي كما نقلت مصادر الأدب والنقد. فالناقد في هذا العصر كان ينطلق من ذاته وإحساسه في نظره للشعر. تقوده السليقة والطبع فيما يصدره من أحكام. ومن نماذجه المختارة:

## أ/ في العصر الجاهلي:

\*جاء في رواية عن المرزباني: "مر المسيب بن علس بمجلس قيس بن ثعلبة فاستتشدوه فأنشدهم، فلما بلغ قوله:

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمّ عِنْد إذكاره \*\* \* بِناجٍ عليه الصّيْعرية مُكدَم فقال طرفه وهو صبي يلعب مع الصبيان: استنوق الجمل (36)، وهو يريد أن الشاعر وهو يصف الجمل، ذكر من أوصافه ما يخص الناقة (الصيعرية)، وهي سمة تكون في عنق الناقة لا في عنق الجمل. وقد استعملها المسيب استعمالا خاطئا.

\*ومن ذلك ما يروي أن: النابغة الذبياني كان تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه، الشعراء فتعرض عليه أشعارها. فكان أول من أنشده الأعشى: ميمون بن قيس، أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري:

لَنَا الجفنات الغرّ يَلْمَعْنَ بالضّحَى \* \* \* وَأَسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَما وَلَدْنا بَنِي العَنْقاء وابني مُحرّق \* \* \* فأكْرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

<sup>( &</sup>lt;sup>35)</sup> المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء تح، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص 94، 95.

فقال له النابغة: "أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك""(37).

\*وروي أن الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي تحاكموا إلى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر، أيهم أشعر؟. فقال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به، وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر، يتلألأ فيها البصر فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وأما أنت يا مخبل، فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر".

(حبر: مفردها حبرة وهي ملاءة من الحرير كانت ترتديها النساء في مصر عند خروجهن. خرزها: الخرز، الخياطة، والمزادة وعاء يحمل فيه الماء في السفر).

\*روي أن امرئ القيس وعلقمة احتكما لزوجة امرئ القيس أم جندب للفصل بينهما أيهما أشعر على أن ينظما شعرا على روي واحد وقافية واحدة، فقال المرؤ القيس:

فللسوط الهوب، وللساق درة \* \* \* وللزجر منه وقع أخرج مهذب (ألهوب: اجتهاد من الفرس في عدوه. درة: إذا غمر الفرس بالساق أسرع. الأخرج: ذكر النعام. مهذب: المسرع في حربه).

وقال علقمة:

<sup>( &</sup>lt;sup>36)</sup> الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص333-3334.

فأدركهن ثانية من عنانه \*\* \* يمر كمر الرائح المتحلب (الرائح: السحاب. المتحلب: الساقط المتتباع. أو هو السائل كأنه لسرعته لا يجرى ولا يتحرك).

وبعد الانتهاء حكمت أم جندب لعلقمة محتجة بأن زوجها أجهد فرسه بسوطه وأتعبه بساقه على عكس علقمة "(38).

فهذه الأحكام النقدية جميعها عامة وليدة ذوق فطري متعجل، كما هو الشأن في أغلب نماذج العصر الجاهلي، إذ تجمع بين الجزئية والتعميم والتعبير عن الانطباع الكلي، دون اللجوء إلى التعليل.

## ب/ العصر الإسلامي:

ولقد استمر هذا النوع من النقد في العصر الإسلامي، مع تبدل في وجهة النظر للشعر وفي الموقف منه، إذ أصبحت الأحكام النقدية تعتمد الصدق والقيم الخلقية، وتستمد معابيرها من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وقد جمعت المصادر عددا من الروايات والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم توضح مدى حرصه على أن يتخذ الشعراء من القرآن الكريم منهجهم، ومنها أن النابغة أنشده قائلا:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى \* \* \* ويتلو كتابا كالمجرة نيرا بلغنا السماء مجدنا وجدودنا \* \* \* وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

<sup>( 37)</sup> ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص145.

فقال له رسول الله: "إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة يا رسول الله. فقال: إن شاء اله"(39).

وأنشده حسان بن ثابت بعد أن هجاه أبا سفيان:

هجوت محمدا فأجبت عنه \* \* \* وعند الله في ذاك الجزاء

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جزاؤك عند الله الجنة يا حسان".

وأثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يستحسن قول طرفة بن العبد:

سَتُبدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلا \* \* \* ويأتيكَ بالأخبار من لم تزوّدِ

## ومن صور النقد الانطباعي في هذا العصر:

وروي عن عمر بن الخطاب أنه سأل ابن عباس رضي الله عنه: "أنشدني لأشعر شعرائكم قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: ولم كان كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين الكلام، و لا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه". (المعاظلة في الكلام أن يتداخل بعضه في بعض حتى يثقل فلا يفهم) "(40).

وروي أن عثمان بن عفان قال عن بيت زهير بن أبي سلمي:

وما تكن عند امرئ من خليقة \* \* \* وإن خالها تخفى على الناس تعلم

43

<sup>(38)</sup> ابراهيم عوض، النابغة الجعدي وشعره، ط1، شبكة الألوك، 1993.

<sup>( &</sup>lt;sup>39</sup>) الأصفهاني، الأغاني، ج10، 305.

"أحسن زهير وصدق، فلو أن رجلا دخل بيتا في جوف البيت لتحدث به الناس".

## ج/ العصر الأموي:

على الرغم من التقدم الذي حققه هذا العصر من حيث توسع العرب في الأقطار، وامتزاجهم بباقي الأمم، وانتشار الحواضر، وازدهار الشعر في الحجاز والشام والعراق، فإن النقد بقي على هيئته من حيث الانطباعية وتمثل الإحساس. وقد برز في هذا العصر نقاد في تلك البيئات الثلاثة، كابن أبي عتيق وسكينة بنت الحسين في الحجاز، وبعض اللغويين والرواة في العراق، وبعض الشعراء والخلفاء في الشام.

## ج-1/ في الحجاز:

كان الحجاز مركزا لظاهرتين متناقضتين، فهو مركز ديني وموطن التشريع الإسلامي ومصدره، وفي الوقت نفسه موطن اللهو، لوجود أشهر المغنين والظرفاء، وشعراء الغزل بلونيه العفيف والماجن.

وفي هذه البيئة نشأ أدب رقيق فيه روح العصر والمكان.

ومن صور النقد الانطباعي فيه:

أن ابن أبي عتيق قال عن شعر عمر بن أبي ربيعة: "لشعر عمر ابن أبي ربيعة نوطة بالقلب، وعلوق بالنفس ودرك للحاجة، ليست لشعر غيره. وما عصى الله

جل ذكره بشعر أكثر مما عصى بشعر عمر بن أبي ربيعة. فخذ عني أشعر الناس من دق معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، وتعطفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته"(41).

## ج-2/ في العراق:

ظل الشعر في هذه البيئة قريبا من الشعر الجاهلي في صوره وأساليبه بتأثير من اللغويين أمثال أبو عمرو بن العلاء، والحضرمي، وعنبسة الفيل، وحماد الراوية، وخلف الأحمر، والأصمعي، والمفضل الضبي، وأبو عبيدة. وسيطر عليه الخصومة بين الشعراء في شكل أغراض الفخر والنقائض والمدح.

#### ومن صوره:

روي أن أبا عبد الله الحضرمي قال على بيت للفرزدق، وكان شديد التعقب لشعره،:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع \*\* \*من الناس إلا مسحتا أو مجلف بأنه عطف المرفوع على المنصوب في (مسحتا) و (مجلف).

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول على شعر ذي الرمة: "إنما شعره نقط عروس: يضمحل عن قليل، وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح البعر "(42).

( $^{(41)}$ ) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج $^{(41)}$ 

45

<sup>(40)</sup> الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص84.

فشعر ذي الرمة -حسبه- جيد في أول إنشاده، فإن أعدت ذلك ضعف وذهب رونقه تماما كما تختفي نقط العروس بعد الغسل ورائحة بعر الظباء بعد مدة من شمها.

(نقط العروس: ما تنقط به المرأة خدها من السواد للتزيين. مشم: رائحة طيبة تشم لما تأكله الظباء من نبات طيب الرائحة كالشيخ والقيصوم، فإذا جف صار كسائر البعر).

روى ابن سلام أن عكرمة بن جرير سأل أباه عن الشعراء، فقال: "الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر، وحكم الأخطل على جرير بأنه كان "يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر "(43).

## ج-3/ في الشام:

صارت الشام في حكم الأمويين مركزا سياسيا وعاصمة للحكم ومركزه، وهذا جعل نشاط الشعر يتمركز فيها حول مجالس الخلفاء، ويغلب على النقد فيها آراءهم ومواقفهم من الشعر والشعراء، كما لم يخف النقد في هذه البيئة عموما انتصاره للموروث العربي.

وأشهر الأمويين دراية بالشعر، وقربا من الشعراء عبد الملك بن مروان لكثرة بقائه في الحكم من جهة، ولتذوقه الشعر من جهة أخرى، وله في كتب تاريخ النقد

<sup>(42)</sup> البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب، ج2، ص333.

ومصادره روايات كثيرة وأخبار ومواقف من أقوال الشعراء سنختار منها نماذج لكثرتها:

يروى أن عبد الملك بن مروان اعترض على قول الشاعر فيه:

على ابن أبي العاص دلاس حصينة \*\* \* أجاد السدي سردها وأذالها يؤود ضعيف القوم حمل قتيرها \*\* \* ويستضلع القوم الأشم احتمالها مفضلا عليه قول الأعشى لقيس بن معد يكرب:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة \*\* \*شهباء يخشى الزائدون نهالها كنت المقدم غير لابس جنة \* \* \*بالسيف تضرب معلما أبطانها وسبب الرفض ميل الخليفة للمبالغة رغم معرفته بأن قول الشاعر فيه مناسب للوضع الحربي جدا "(44).

(دلاص: دروع لينة براقة ملساء. السدي: صانع السداء وناسج الثوب. سردها: نسجها. أذالها: أطال ذيلها. يؤود: يثقل ويصعب. قتيرها: مسامير الدرع أو الدرع نفسها. القرم: السيد العظيم. الأشم: المرتفع.

شهباء: صافية الحديد. نهال: الرماح المتعطشة للدماء. الجنة: الدرع الواقية. معلما: متحديا أعداءه بأن يعلمهم مكانه في الحرب).

وروي عنه أنه وقف موقفا سلبيا من قول احد الشعراء:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت \* \* فواحزني من يهيم بها بعدي

47

<sup>( 43)</sup> عبد الفتاح عفيفي، الذوق الأدبي، ص36.

#### وعدله بقوله هو:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت \* \* فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

وعليه ظل النقد العربي وحتى العصر الأموي يستلهم الذوق والشعور، وبقي على حاله جزئيا بسيطا فطريا، لا يرجع الناقد فيه إلى مقاييس دقيقة بل إلى ذوقه الأدبى المرهف.

3- مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة والمغاربة.

أولا: مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة:

أ.مفهوم الشعر عند عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ):

يرى الجاحظ أن الشعر: "صناعة وضرب من الصيغ وجنس من التصوير" (45)، وما أرده الجاحظ من خلال هذا التعريف تأكيد نظريته على الشكل الخارجي للقصيدة، وأن الشيء الأساسي في الشعر إنما يقع على "إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك" (46).

وبهذا التحيز للشكل الخارجي، قلل الجاحظ من قيمة المحتوى ويظهر ذلك جليا في قوله: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي..." (47). وإتجه الجاحظ هذا الاتجاه لأسباب كثيرة أهمها:

- وجد أن الإعجاز لا يُفسر إلا عن طريق النظم.
- آمن بأن النظم يرفع البيان إلى مستوى الإعجاز.
- يرى أن المعانى قدر مشترك بين الناس جميعا.
- يرى أن المعانى لا يمكن أن تسرق عكس الألفاظ

ب.مفهوم الشعر عند: أبو الحسن محمد بن أحمد بن طبابا (ت322هـ):

<sup>(44)-</sup> إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1998، ص86.

<sup>( &</sup>lt;sup>45)-</sup> المرجع نفسه، ص86.

<sup>( &</sup>lt;sup>46)-</sup> المرجع نفسه، ص86.

ومن أشهر كتبه عيار الشعر، وفي مقدمة هذا الكتاب عرف الشعر بأنه: "كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع وفسد عن الذوق، ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميازته، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحدف به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف فيه "(48).

ويشترط ابن طبابا في كتابه عيار الشعر "التوسع في علم اللغة والبارعة في فهم الإعراب والرواية لفنون الآداب والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر والتصرف في معانيه، في كل فن قالته العرب (49).

## ج.مفهوم الشعر عند قدامة بن جغفر (ت337هـ):

جاء في كتابه نقد الشعر أن مفهوم الشعر هو: "قول موزون مقفى يدل على معنى "(50)، فمن خلال هذا القول نستنتج تعريفا منطقيا ظاهريا فجنسه قول، وطبيعته موزون، وخصصته التقفية والدلالة على معنى ليفصل بين الكلام الموز ون الذي يدل على معنى وعليه فإن حد الشعر عنده هو: اللفظ، المعنى، الوزن، القافية.

إن جودة الشعر عند قدامة بن جعفر تتحقق ب وجود هذه العناصر وائتلافها، وبذلك تكون صفات الجودة ومثلها صفات الرداءة تدور مع العناصر مفردة، ومع ائتلاف اللفظ والوزن وإئتلاف المعنى والوزن وائتلاف القافية (51).

ويظل الحديث عن عناصر الشعر عند قدامة بن جعفر مرتبط بشروط أهمها:

• يجب أن يكون اللفظ سمحا سهل مخارج الحروف، فصيح.

 $<sup>^{(47)}</sup>$  المرجع نفسه، ص $^{-(47)}$ 

<sup>(48)</sup> إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص122.

<sup>( &</sup>lt;sup>49)-</sup> قدامة بن جعفر ، عيار الشعر ، ص22.

<sup>(</sup> $^{(50)}$  أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالة المطبوعات، الكويت، بيروت، ط $^{(50)}$ 1973، ص $^{(50)}$ 64.

- يجب أن يكون الوزن سهل العروض.
- يشترط في القافية أن تكون عذبة سلسة المخرج فيها ترصيع خالية من عيوب الإقواء والتخمين والإبطاء...
- ائتلاف اللفظ والوزن، أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة. ائتلاف القافية مع المعنى، أن "تكون متعلقة بما تقدمها بالملائمة في المعنى والنظم بعيدة عن التكلف فتكون مسجوعة متكلفة بلا معنى "(52).

# د. مفهوم الشعر عند أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (613-618):

إن القارئ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة يلاحظ النظرة التوفيقية في كتابه: الشعر والشعراء، فهو جعل الجودة والرداءة مقياسا للشعر (لفظا ومعنى) دون اعتبارات أخرى.

وفي هذا الصدد يقول ابن قتيبة: "لو نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظه، ووفرت عليه حقه، فإني أريت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيلة، ويرذل الشعر الرصيف ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة مقسوما بين عباده في كل دهر ... " (53).

والشعر عند بن قتيبة يقوم على اللفظ والمعنى، وُيُمَيَاز بين بالجودة والرداءة ويقسم الشعر إلى أربعة أضرب:

1. لفظ جيد ومعنى جيد

<sup>(</sup> $^{(51)}$  أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالمة المطبوعات، الكويت، بيروت، ط $^{(51)}$  أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالمة المطبوعات، الكويت، بيروت، ط $^{(51)}$ 

<sup>(</sup> $^{(52)}$  أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالة المطبوعات، الكويت، بيروت، ط $^{(52)}$  أحمد مطلوب، 1973، ص $^{(52)}$ 

- 2. لفظ جيد ومعنى رديء
- 3. لفظ رديء ومعنى جيد
- 4. لفظ رديء ومعني رديء

إن قضية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة ومن خلال تعريفه لحد الشعر، لم يتناولها من خلال ما نسميه (بالشكل والمضمون، بل أراد من خلالها تبيين وحدة الأثر الفني في مبناه الكلي).

تعمل ابن قتيبة هاتين اللفظتين بمدلولات مختلفة، كالتكلف، والطبع والصنعة وكان من أبرز النقاد إلتفاتا إلى العوامل النفسية والمبنى الفني الكلي للقصيدة"(54).

# ه. مفهوم الشعر عند أبي هلال العسكري (ت395هـ):

يبنى الشعر عند أبي هلال العسكري على حسن تدفق معانيه وهذا بسهولة ألفاظه وعذوبتها يقول في هذا الصدد: "الكلام يحسن سلاسته ونصاعته، وتخير ألفاظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه، وتعادل أطارفه، وتشابه إعجازه ...، وموافقة مآخره لمباديه مع قلة ضروارته، بل عدمها أصلا، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر .... فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقا وبالتحفظ خلقيا"(55).

مفهوم الشعر عند النقاد المغاربة:

#### 2.1. مفهوم الشعر عند النهشلي:

هو عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي توفي سنه (405ه/1014ه) صاحب كتاب "الممتع في صنعة الشعر أو المعروف كذلك بـ "الممتع في علم الشعر وعمله" أورد فيه باب في كلام العرب، وفضل الشعر، وباب في البيان، وذكر الجمال وحسن

أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالة المطبوعات، الكويت، بيروت، ط6، 64. 64.

<sup>(</sup> $^{(54)}$  أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالة المطبوعات، الكويت، بيروت، ط $^{(54)}$ .

الوجوه، وباب ألقاب الشعراء، وباب الاحتماء بالشعر، وباب من رفعه المديح ومن حطه الهجاء، ثم ختم كتابه بما قيل في فنون الشعر المختلفة، والكتاب صورة من صور التأليف القديم التي تجعل فقهها في تبويبها.

وقد تعرض النهشلي في كتابه هذا تعريفا للشعر مستندا على ما قيل قبله فيه (والشعر عندهم الفطنة، ومعنى قولهم: ليت شعري، أي ليت فطنتي) (56).

أقر النهشلي بأن الشعر ليس مجرد ألفاظ موزونة ومقفاة، أو هي مجرد أقوال تدل على معنى وإنما هو الفطنة والشعور فالشعر عنده مرتبط بالوجدان القادر على توليد الإحساس والعاطفة في نفس القارئ.

وكان النهشلي كغيره من النقاد قد وضع حدا للشعر ويتمثل هذا الحد في قوله: "والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ويبقى غابره على الدهر، ويبعد عن الوحشي المستنكره ويرتفع عن المولد المنتحل ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة "(<sup>57)</sup>. ومعنى هذا القول أن صفات الشعر الجيد هي اشتماله على الألفاظ الحسنة المنتقاة وأن يقوم هذا الشعر على التجويد والتحسين بمعنى حسن الانتقاء في الأسلوب وكيفية انتقاء المفردات وتوظيفها وفق ما يتناسب مع الموضوع وكذا أن يكون التشبيه فيه مصيبا وأن تستعمل فيه استعارات قوية التركيب مناسبة لما استعارة من أجله.

#### أصناف الشعر عند النهشلي:

لقد أورد النهشلي أنواع الشعر من وجهة نظره في مقولة تضمنها كتابه "الممتع في الشعر "الشعر أربعة أصناف: فشعر هو خير كله، وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة، والمتمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه

(<sup>56)-</sup> محمد مرتاض، النقد الأدبي في المغرب العربي (بين القديم والحديث)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1، 2015م، ص29.

<sup>(&</sup>lt;sup>55)-</sup> أحمد مطلوب، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالة المطبوعات، الكويت، بيروت، ط3، 1973، ص64.

ذلك، وشعر هو ظرف كله، وذلك هو الق ول في الأصناف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من النعوت، والمعاني والآداب، وشعر هو شر كله، وذلك هو الهجاء وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس، وشعر يكتسب به، وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها، ويخاطب كل إنسان من حيث هو، ويأتي إليه من جهة فهمه"(58).

قسم النهشلي الشعر إلى أصناف على أساس الفضيلة والأخلاق، وقد رتب الشعر تحت أصناف وتحت كل صنف فنون وهذه التصنيفات أربعة وهي المديح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرغ كل صنف من تلك الفنون مديح ويتضمن المراثي والافتخار والشكر ويكون الهجاء في الذم والعتاب، ومن الحكمة الأمثال، والتزهد، والمواعظ، ويكون اللهو في الغزل والطرب، ووصف الخمور.

لقد قدم النهشلي مواصفات للشعر الجيد وهذا في كتاب الممتع في صنعة الشعر، وقد قال في هذا الصدد: "خير كلام العرب وأشرفه عندها هذا الشعر الذي ترتاح له القلوب، وتجذل به النفوس وتصغي إليه الأسماع، وتشحذ به الأذهان، وتحفظ به الآثار، وتقيد به الأخبار "(59). ونستشف من هذا القول أن الصفات المميز للشعر الحقيقي عند عبد الكريم النهشلي تتمثل في تلك القدرة التي تبعث القلوب على الارتياح، وتغذي العواطف، به تهدئ النفوس، وهذا الجانب يحقق المتعة، بالإضافة إلى قدرته على شحذ الأذهان وحفظها وتثقيفها كما أنه يحفظ المآثر والأمجاد، فالشعر ديوان العرب وهو أرقى فنون الأدب وأوسعها في تمثيل الطبيعة والحياة والمجتمع لدى العرب القدماء.

## 2.2. مفهوم الشعر عند أبى إسحاق إبراهيم بن على الحصري القيروانى:

إبراهيم بن علي الحصري ت (453ه-1061ه) صاحب كتاب (زهر الآداب وثمر الألباب)، تتاول فيه أبوابا للأخبار النقدية والأدبية والبلاغية، وفنون أدبية

ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص118.

<sup>(58)-</sup> عبد الكريم النهشلي، الممتع في صنعة الشعر، ص11

كالمقامات، ودارسة بعض الرسائل كرسائل بديع الزمان الهمداني (358ه-969م) ت (398ه-960م) فتحدث عن فضل الشعر، وأثره في المتلقي، وصنعة البليغ لم يقدم الحصري مفهوما واضحا حول الشعر، فكتابه احتوى شيئا من النحو والتصريف واللغة. وقد نبه إلى ذلك في مقدمة كتابه حين قال: "هذا كتاب اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات في الشعر، والخبر، والفضول، والفقر، مما حسن لفظه ومعناه... وليس لى في تأليفه من الافتخار أكثر من حسن الاختيارات" (60)

وما نستتجه أن النقاد المغاربة اهتموا بالشعر في كثير من مصنفاتهم، وعند استقراء مباحثهم نلاحظ أن السمة التي ميزت تناولهم لقضية الشعر، هي عدم التقيد بضوابط التعريف. فلا نجد تعريفا واضح المعالم للشعر عندهم كما لاحظنا ذلك عند القزاز والحصري، باستثناء عبد الكريم النهشلي، فهو الناقد الوحيد الذي استطاع أن يضع مفهوما واضحا للشعر قبل ابن رشيق.

## 2.3. مفهوم الشعر عند أبي على الحسن بن رشيق القيرواني:

هو أبي علي الحسن بن رشيق، ولد في (390ه-999م) وتوفي في (456ه-1063 1063م) تتلمذ على يد عبد الكريم النهشلي وقد استشهد بالعديد من أقواله في كتابة العمدة "والذي تدور أبوابه حول الشعر، كفضل الشعر، والرد على من يكره الشعر، وأشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء، ومن رفعه الشعر ومن وضعه، ومن قضى له ومن قضى عليه، وشفاعات الشعراء وتحريضهم، وقال الشعر وطيرته..." (61).

ابن رشيق ناقد يتمتع بثقافة واسعة، وبعد نظر وتفكير عميق وقد انطلق من خلفيته الثرية في تعريفه للشعر فقال في هذا المقام: "الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام موزونا مقفى وليس يشعر، لعدم القصد والنية" (62).

54

<sup>(59)</sup> أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصري القيرواني، زهر الأدب وثمر الألباب، ج1، ص24،21.

<sup>(60)-</sup> يحياوي أحمد، مفهوم الشعر في التراث النقدي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة أبو بكر بلقايد ،الجزائر ،2018،2017م.

<sup>(</sup> $^{(61)}$  ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج $^{(61)}$ 

إذن لم يخرج ابن رشيق عما قاله من سبقه في تعريفه فقد استند في تعريفه على الوزن والقافية غير أن الشيء الجديد الذي أضافه هو النية والقصد كشرط لتمييز الشعر عن النثر، وهو تمييز قائم على الإحساس الصادق العميق الذي ينقل إلى الملتقي أري الشاعر في موضوعات معينة، وهذا يدل على فهمه الدقيق لماهية الشعر، وبالتالي فهو يجعل الإحساس الشعري عنصرا هاما، وقال في ماهية الشعر كذلك: "الشعر ما أطرب ،وهز النفوس، وحرك الطباع، فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ما سواه"(63). لأن هناك من الكلام الموزون والمقفى ولكن بدون بنية أو قصد كما يكون منظوما وموزونا ويدل على معنى، ولكنه لا يعبر عن الإحساس والشعور ولا يثير المتلقى فهو لا يسميه شعرا.

## 2.4. مفهوم الشعر عند بن شرف القيرواني:

وهو محمد بن شرف القيرواني ولد في (390ه-999م) وتوفي في (460ه-1067م) بن شرف معاصر لابن رشيق، له رسالة نقدية قيمة عنوانها "إعلام الكلام" وقد تسمى أيضا "رسائل الانتقاد".

ما قاله أبن شرف عن الشعر: (إن أملح الشعر ما قلت عبارته وفهمت إشارته ، المحت لمحة، ورفقت حقائقه، وحققت رقائقه استغنى فيه باللمحة الدالة عن الدلائل المتطاولة).

لم يقدم ابن شرف تعريف واضحا للشعر، بل أكتفا بوضعه لمميزات الشعر الجيد في نظره"(64).

#### 2.5. مفهوم الشعر عند ابن خلدون:

 $<sup>^{(19)}</sup>$  المرجع نفسه، ص $^{(19)}$ 

<sup>.65</sup> ينظر، يحياوي أحمد، مفهوم الشعر في التراث النقدي، ص $^{(20)}$ 

هو عبد الرحمان بن خلدون صاحب كتاب "المقدمة" ولد سنة (732هـ-1332م) وتوفي في مقدمته غاية بالغة بالغة بالأدب خاصة الشعر.

لقد عرف ابن خلدون الشعر بأنه: "الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في عزمه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به" من هذا التعريف نلمس أن للابن خلدون فكر نافذ وأنه على دراية على أراء سابقيه خاصة تعريف قدامه للشعر، وكذا نرى من خلال تعريفه أنه متأثر بالفلسفة وهذا لاعتماده على المحاكاة والتخيل في تعريفه للشعر "(65).

4- قضية الانتحال وتأصيل الشعر (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب).

#### تمهيد:

شغلت قضية الانتحال في الشعر العربي نقادنا القدامي واحتلت حيزا كبيرا، وأثارت الكثير من الجدل والخلاف، ومن النقاد الذين ارتبطت أسماؤهم بالقضية: ابن سلام في كتابه (طبقات فحول الشعراء)، الجاحظ في كتابه (الحيوان)، ابن رشيق في كتابه (العمدة).

<sup>(64)-</sup> يحياوي أحمد، مفهوم الشعر في التراث النقدي، ص65.

وقد ارتبطت بالشعر الجاهلي لعدة أسباب منها عدم تدوينه في عصره وبقائه مدة طويلة تتداوله الألسنة، ما جعل كثيرا من الدارسين قديما وحديثا يطعنون في نسبه ويثيرون مسألة الشك في صحته، في بعضه أو في كله كما هو الشأن بالنسبة للمستشرقين، كما تسرّب الشك حتى في وجود بعض الشعراء الجاهليين.

## مفهوم الانتحال في اللغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "حِل جسمُه، ونَحَل، ينَحَل، وينَحُل نُحولاً، فهو ناحِل: ذهَب من مرض أو سفر والفتح أفصح. وانْتَحَل فلانٌ شِعْرَ فلانٍ: إذا ادّعاه أنه قائلُه، وتَنَحَّلَه ادّعاه، ونَحَله القولَ ينَحَله نَحْلا: نَسَبه إليه، ونَحَلْتُه القولَ أَنْحَلُه نَحْلاً: نَسَبه إليه، ونَحَلْتُه القولَ أَنْحَلُه نَحْلاً بالفتح: إذا أضَفْت إليه قولاً قاله غيره، وادّعيتَه عليه. ونُحِل الشاعرُ قصيدة إذا نُسِبَت إليه، وهي من قِيلِ غيره، قال الأعشى في الانتحال (66).

فكيف أنا وانتحال القوا \* \* \* في بعد المشيب كفي ذاك عارا؟

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: نَحَلَ: النون والحاء واللام كلمات ثلاث: الأولى تدلُّ على دِقّةِ وهُزال والأخرى على عطاء، والثالثة على ادِّعاء.

<sup>(65)-</sup> بن منظور ، لسان العرب، ج11، دار صادر ، بيروت، لبنان، ط3، 1414، ص 651، مادة : (نحل).

الأولى نَحَل جِسُمه نُحولاً فهو ناحل، إذا دقّ، وأنْحلَه الهمُّ. والنّواحل: السّيوف التي رقت ظباتها من كثرة الضرب بها. والثانية: نحلته كذا، أي أعطيته، والاسم النحل. قال أبو بكر سمي الشيء المعطى النحلان. ويقولون: النحل: أن تعطي شيئا بلا استعواض "(67).

## الانتحال في الاصطلاح:

الانتحال هو نسبة الشعر لغير قائله، سواء أكان بنسبة شعر رجل إلى آخر، أو أن يدعي الرجل شعر غيره لنفسه، أو أن ينظم شعرا وينسبه لشاعر، سواء أكان له وجود تاريخي أم ليس له وجود تاريخي. وَرَدَ في معجم المصطلحات، الانتحال: "هو أن يأخُذَ الشَّاعرُ كلامَ غَيْرِه، بعدَ عِلْمِه بِنِسْبَتِهِ له بلفْظِهِ كُلِّه ومن غَيْرِ تغييرِ لنظْمِه، أو أن يأخُذ المعنى، وتبدل الكلمات كلها أو بعضها بما يرادفها "(68).

يقول ابن سلام: "وفي الشعر مصنوع مفتعل كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا

ابن فارس، مقابيس اللغة، ج5، ص402، مادة : (نحل).

<sup>(67)</sup> حميد قبايلي، قضية الانتحال في النقد العربي القديم بين للتأصيل والتجديد، صفحة 170-169

هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله من كتاب إلى كتاب، ولم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء"(69).

#### موقف النقد القديم من النحل:

لقد حاول القدماء جاهدين أن ينفوا الزيف عن الشعر الجاهلي بمقاييس كثيرة، وبلغ من حرصهم في هذا الباب أن اتهام بعض الرواة أمثال حماد وخلف، وعدم الثقة بما رووه، كما عرف عن الأصمعي والمفضل الضبي من قبله.

## 1/ الانتحال من وجهة نظر ابن سلام الجمحي:

من أكثر النقاد إثارة للموضوع ابن سلام؛ فقد دوّن في كتابه (طبقات فحول الشعراء) آراء نقدية مهمة في ذلك. وقد رد المسألة إلى عاملين:

عامل القبائل: التي كانت تتزيد في شعرها لتتزيد في مناقبها. يقول: "لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن

59

ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص4.

له الوقائع والأشعار؛ فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار "(70).

ومن ذلك ما زادته قريش في أشعار الشعراء؛ فهي تضيف إلى شعرائها منحولات عليهم، وقد أضافت كثيرًا إلى شعر حسان بن ثابت، يقول: "ويذكر أن من أبناء الشعراء وأحفادهم من كان يقوم بذلك، مثل داود بن متمم بن نُويرة؛ فقد استنشده أبو عبيدة شعر أبيه متمم، ولاحظ أنه لما نفد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها، وإذا كلامٌ دون كلام متمم، وإذا هو يحتذي على كلامه؛ فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها؛ فلما توالى ذلك علم أبو عبيدة ومن كانوا معه أنه يفتعله".

#### عامل الرواة الوضاعين:

ويقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانتا ترويان منتحلًا كثيرًا وتنسبانه إلى الجاهليين، طائفة كانت تحسن نظم الشعر وصوغه،فتضيف ما تنظمه إلى الجاهليين، ومثل لها بحماد، وخلف الأحمر، وطائفة لم تكن تحسن النظم ولا الاحتذاء على أمثلة الشعر الجاهلي؛ ولكنها كانت تحمل كل غثاء منه وكل زيف،

ابن سلام الجمحى، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص4.

وهم رواة الأخبار والسير والقصص، من مثل ابن إسحاق راوي السيرة النبوية؛ إذ كانت تصنع له الأشعار ويدخلها في سيرته دون تحرز أو تحفظ.

يقول ابن سلام: "وقد ذكر أبا سفيان بن الحارث أحد شعراء قريش الذين كانوا يتعلى يناقضون حسان بن ثابت وشعراء المدينة: إن شعره في الجاهلية "سقط ولم يصل الينا منه إلا القليل". ثم علق على ذلك بقوله: "ولسنا نعد ما يروي ابن إسحاق له ولا لغيره شعرًا، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم"(71).

فالرواة من مثل أبي عبيدة كانوا يراجعون ما ترويه القبائل، إما بالرجوع إلى أصول صحيحة أو إلى أذواقهم وما يحسنون من نقد الشعر ومعرفتهم بالشاعر ونظمه.

ومعضلة الانتحال لا يتصدى لها إلا الناقد المتخصص، إذ "ليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون من شعر غث لا خير فيه ولا حجة في عربيته ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف"، ولكن يشكل معرفة المنتحل منه على ألسنة أهل البوادي من أهل الشعراء خاصة.

ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج1، ص206.

## 2/ الانتحال من وجهة نظر الجاحظ:

اعتمد الجاحظ في حديثه عن المنتحل من الشعر على مبدأ شهادة الرواة، وعلى الشعر في حد ذاته في حال تفاوته. ومن الأمثلة التي جاءت في كتابه الحيوان، قوله على بيت نسب لأوس بن حجر:

فانقضّ كالدُّريّ يتبعه \* \* \*نقع يثور تخاله طَنَبًا

"وهذا الشعر ليس لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس"(72)

وقد اعتمد الجاحظ في فصل المنتحل من الأصيل على تحليل البيت والتدقيق في معناه كما يتبين من حكمه على قول الأفواه ألأودي:

كشهاب القذف يرميكم به \* \* \* فارس في كفه للحرب نار

قائلا: "وبعد فمن أين علم الأفواه أن الشهب التي يراها إنما هي قذف ورجم وهو جاهلي، ولم يدع هذا أحد قط إلا المسلمون".

#### 3/ الانتحال من وجهة نظر ابن رشيق:

أشار ابن رشيق إلى قضية الانتحال في كتابه (العمدة) في معرض حديثه عن موضوع السرقات. وجعله استلحاق بيت شاعر لشاعر غيره، ومن ذلك أبيات للمعلوط السعدي انتحلهما جرير وهما:

إن الذين غدوا بلبك غادروا \* \* وشكلاً بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي \* \* \* ماذا لقيت من الهوى وماذا لقينا؟

"فإن الرواة مجمعون على أن البيت للمعلوط السعدي انتحلهما جرير. وانتحل أيضا قول طُفيل الغنوي"(73):

ولما التقى الحيّان أُلقيتِ العصا \* \* \*ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وذكر أن بين جرير والفرزدق شعر منتحل ولكن ذلك ليس عيبا لوروده في ياب المناقضات.

- قضية الفحولة عند النقاد (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب) تمهيد:

 $<sup>(72)^{-1}</sup>$  ابن رشيق، العمدة، ج1، ص(72)

يعد مصطلح الفحولة من أبرز المواضيع التي لها علاقة بالشعر والشعراء، فهو مقياس فني استعمل للمفاضلة بين الشعرا. ورغم أن بواكير ظهور اللفظة تعود للعصر الجاهلي، حيث أن المفهوم والتصور كان سائدا، فإن مصطلح الفحولة بحد ذاته كان غائبا. ويرجع استعماله الأول للشعراء. فالشعراء وهم يحتكمون للنابغة الذبياني في سوق عكاظ، كانوا يتطلعون لمعرفة أفضل الأبيات والقصائد بغية معرفة الفحل منهم.

#### المصطلح والنقاد القدامى:

سجل مصطلح الفحولة حضوره اللافت عند علماء اللغة أي منذ أبي عمرو ابن العلاء، والخليل الفراهيدي، ومرجعه هو الحياة البدوية، فالفحل سواء كان فرسا أو جملا، فهو ما ينماز بما يناقض خاصية اللين.

والمصطلح متداول في العديد من الروايات، فعن عيسى بن عمر، قال: "قال ذو الرمة للفرزدق: "مالي لا ألحق بكم معاشر الفحول؟ فقال له:التجافيك عن المدح و الهجاء، واقتصارك على الرسوم والديار".

حيث نلاحظ من هذا النص أن الشاعر الفحل، هو الذي ينظم في جميع أغراض الشعر، وخصوصًا المدح والهجاء لما يحتلانه من مكانة في الشعر العربي القديم و الحديث وأيضا ورد هذا المصطلح في نص للفرزدق حيث قال: "قد علم

الناس أني فحل الشعراء، وربما أتت علي الساعة لقلع ضرس من أضراسي، أهو ن على من قول بيت شعري".

ونسب العديد من الدارسين مصطلح الفحولة للأصمعي بعد أن استقر عنده مصطلحا له خصائصه وشروطه. ثم شهد المصطلح تطورا ملحوظا عند ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء).

#### مصطلح الفحولة الدلالة اللغوية:

ورد في لسان العرب أن " الفحل معروف الذكر من كل حيوان وجمعه أفحل وفحول فحولة وفحال وفحالة مثل الجمالة، ورجل فحيل:فحل ...والفحلة: افتحال الإنسان فحل الدوابه، والفحيل: فحل الإبل إذا كان كريما منجبا، ...".

وجاء في مقاييس اللغة أن "الفحل: الفاء والهاء واللام أصل صحيح يدل على ذكارة وقوة ومن ذلك الفحل منك لشيء هو الذكر الباسل".

ولا يختل فمدلول الكلمة الاصطلاحي في مجال الشعر يدور كذلك حول الغلبة والتميز، فالفحولة صفة عزيزة تعني التفرد الذي يتطلب غلبة صفة الشعر على كل الصفات الأخر بفي المرء. والشاعر الفحل عند الأصمعي هو "من كان لهمزية على غير هكمزية الفحل على الحقاق".

ولصفة الفحولة شروط لخصها الأصمعي في قوله: "لايصير في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في

مسامعه الألفاظ. وأوّل ذلك:أن يعلم العروض، ليكون ميزانا له عل تقوله، والنحوّ، ليكون ميزانا له على تقوله، والنحوّ، ليُصلح به لسانه، ليقيم به إعرابه، والنسبو أيام الناس، ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب، وذكرها بمدحاً وذم".

وأما معايير فهي:الكثرة والكم الشعري، وهي من أهم المعايير التي صنف بها ابن سلام الجمحي الشعراء، إضافة إلى الجودة ومعيار الزمن .وقد اشترك في هذه المقاييس الأصمعي وابن سلام وكثير من النقاد القدامي، لاعتقادهم بأن كثرة شعر الشاعر وجودته وانتمائه للعصر الجاهلي، كفيل بأن يضع الشاعر في مرتبة الفحول.

7 - قضية عمود الشعر:

إن الشعرية العربية القديمة قد خلفت رصيدا قيما من النقد النظري والتطبيقي أصالته وعمقه وإصابته لأسرار الجمال في صناعة الشعر، وما ما يزال يكشف عن إليه، وتؤكد أن الدعائم التي أرساها تزال النظريات الحديثة تؤيد مصداق ما ذهب يجرفها في هي من الصلابة بحيث لا يأتي على بنيانها الدهر، ومن الثبات بحيث لا طريقه تيار التحول.

فإن نظرية عمود الشعر قد نشأت وترعرعت وبلغت رشدها، في ظروف ازدهار فكري وأدبي نقدي لا مثيل له في تاريخ هذه الأمة، وأنجزها رجال هم الأوثق صلة بروح هذه الأمة والأكثر فهما للغتها وإدراكا لعبقريتها وأسرار جمالها، خلافا للظروف التي نشأ فيها ذلك الموقف وذاك الانطباع. كما أن هذه النظرية هي في جوهرها اكتشاف لقوانين سارية لا فرضها، وتحصيل حاصل لا طلب حصوله؛ فكما أن الشعراء قد وزنوا أشعارهم قبل أن يكتشف الخليل علم هذه الأوزان، فكذلك أبدع

الشعراء عمود الشعر وأصول الصنعة قبل أن يكتشف النقاد ذلك العمود وهذه القواعد والأصول.

إن التأمل المنصف لمبادئ هذه النظرية وأطوار نشأتها وتطورها يتيح لصاحبه أن يكتشف أنها انبثقت من الاستقراء الواسع لواقع الشعر العربي في نماذجه الجيدة. ومن الاستفادة الواعية المنتجة من الآراء النقدية المختلفة السابقة لزمن اكتمال هذه المبادئ. فكانت هذه النظرية خلاصة الآراء النقدية في الشعر وعناصره ومقوماته كما اتفق عليها النقاد، أو الصورة المثالية التي ينبغي أن يكون عليها الشعر العربي لتتوافر له شروط الجودة والإحسان، وقد صاغها المرزوقي بناء على ما أفاده من آراء النقاد الذين سبقوه، إفادة تدل على مقدار التفاعل بين الآراء والتواصل بين الأجيال، وصياغة تدل على مقدار الإضافة والاجتهاد والرغبة في الاغناء والسعي الهي الكتمال.

## شرح عناصر المرزوقي ومناقشته لها

عناصر عمود الشعر كما استقرت عند المرزوقي، صدرت عن طريقة العرب في قول الشعر وكشفت عنها، ذلك أن المنهج النقدي عند المرزوقي حاول أن يتبين العناصر الناضجة، التي ينبغي الإبقاء عليها، للحفاظ على الشعرية العربية وكما ذكرنا آنفًا قد نص المرزوقي على عمود الشعر بقوله: "أن العرب في قولهم الشعر إنما كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه والمستعار له، ومشاكله اللفظ للمعنى، وشده

اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار "(74):

## أولا: شرف المعنى وصحته.

من الواضح أن هذا العنصر يشترط أن تتوافر في المعنى صفتان اثنتان: الشرف والصحة، أما الشرف فالمقصود هو أن يكون من أحاسن المعاني المستفادة من الكلام بأن يتلقى فهم السامع مستغنيًا به باستفادة الغرض الذي يُفاد به، ومن أكثر أسباب شرف المعنى أن يكون مبتكرًا غير مسبوق، ثم أن يكون بعضه مبتكرًا وبعضه مسبوقًا، وبمقدار زيادة الابتكار فيه على المسبوقية يدنو الشرف، وشروط المعاني تختلف باختلاف محالها من أغراض الكلام، من إثارة حماس أو استعطاف أو غزل أو نحو ذلك.

إذن فشرف المعنى، أي سمو المعنى في مناسبته لمقتضى الحال، ذلك السمو الذي يرتضيه، العقل السليم، والفهم النافذ، ونذكر تعليق الجرجاني على بيت امرؤ القيس وهذا التعليق يدلنا على أن الجرجاني ذهب إلى ذلك في معنى الشرف، يقول امرؤ القيس.

وأركبُ في الروعِ خيفانة \*\* كسى وجهها شَعرٌ منتشر إذ يرى الجرجاني في هذا الوصف أنه وصفًا لفرس ليس بالأصيل ولا بالكريم؛ لأن شعر الناصية إذا غطى وجه الفرس، لم يكن أصيلا،

<sup>(74)</sup> المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، القاهرة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1951م، ج1، ص 9.

#### أما قول المتتبي:

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى \* \* \* عدوًا له ما مِن صداقته بُد

فإنه معنى يشهد العقل بصوابهِ وحقق شرف المعنى الثلاثة" (75). أما الشرط الثاني من العنصر السابق والذي يشترطه في المعاني هو الصحة أي صحة المعنى والمقصود بصحة المعنى أن تتحقق مطابقته لحقيقة ما يتحدث عنه المتكلم، واتفاقهما مع ما فيه من خصائص وصفات، وهذا يتضح في المثالين السابقين، ومثال ذلك أيضًا غلط أبو نواس في قولهِ يصف الكلب كأنما الأظفورُ من قنابه \*\*\*موسى صنَناعٍ رُدَّ في نصابه

لجهله ببعض الحقائق، إذ " ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنّور الذي ينستر إذا أراد حتى لا يتبينا، وعند حاجتهما تخرج المخالب حجنًا محددة يفترسان بها، والكلب مبسوط اليد أبدًا غير منقبض (76).

#### ثانيا: جزالة اللفظ واستقامته:

فاللفظ في عمود الشعر ينبغي أن يتوافر فيه شرطان: الجزالة، والاستقامة، فأما جزالة الفظ فهي قوة فيه ومتانة، جاء في لسان العرب: "الكلام الجزل: خلاف الركيك" (77).

<sup>(75)</sup> المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ج1، ص8- 9.

<sup>(76)</sup> المرزباني، الموشح، تحقيق: على محمد البجاوي، دار النهضة، القاهرة، ط1، 1965م، ص 422. (77) ابن منظور، لسان العرب، مادة (جزل).

ومثال ذلك قد أخطأ الشاعر في قولهِ الحمد الله العلى الأجلل.

وذلك؛ لأنه خالف القاعدة الصرفية، "فإن قياس بابه الإدغام، فيقال الأجل"، ويقول المرزوقي في هذا الموضع: " كأن يكون اللفظ وحشيًا، أوغير مستقيم، أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب، وقد قال عمر رضي الله عنه في زهير: (لا يتبع الوحشيّ ولا يعاظل في الكلام، أو يكون فيه زيادة تفسد المعنى أو نقصان) (78).

ولا يفونتا ذكر ما اشترطه البلاغيون في فصاحة اللفظ المفرد وكذلك الكلام المركب، فاللفظ ينبغي أن يكون مأنوسًا مألوفًا، عذبًا على اللسان، غير مبتذل، وأن يكون لفظًا عربيًا صحيحًا لا يخالف قوانين اللغة وغيرها من صفات.

## ثالثًا: الإصابة في الوصف

والمقصود بذلك أن يحسن الشاعر التعبير عن الغرض الذي يتناوله، سواء أكان ذلك مدحًا أم هجاءً أم غزلاً، وذلك بأن يذكر الشاعر من خصائص الموضوع الموصوف ما يلائمه أو يصحّ أن يُنسب إليه، وأن يقع على الشيء الذي يتحدث إذن تأتي الإصابة في عنه وقوعًا يُحيط به، ويلم بمعالمه إلمامًا سليمًا صحيحًا الوصف عندما يصور الشاعر الشيء تصويرًا مطابقًا لما هو عليه، وإلاّ سيؤدي إلى خطأ في الوصف ومثال ذلك، قول أبو تمام الذي أخطأ في وصف الديار فيقول: شهدتُ لقد أقوت مغانيكم بعدي ومحّت \*\*كما محّت وشائعُ من برد

<sup>(78)</sup>المرزوقي، شرح ديوان الحماسة ، ط1، 1951، ج1، ص 15.

إذا جعل الوشائع حواشي الأبراد، أو شيئًا منها وليس الأمر كذلك، إنما الوشائع غزل من اللحمة ملفوف يجره الناسج بين طاقات السدى عند النساجة (79). ومثله قول المسيب علس

وقد أتناسى الهم عن احتضاره \*\* بناجٍ عليه الصعيرية مكدم فقد أنزل المسيب الصعيرية غير منزلها، فهي سمة للنوق لا للفحول (80)، ومثله قول امرؤ القيس في وصف لفرسه

فللسوط ألهوبٌ وللساق درةٌ \*\*\* وللزجر منه وقعُ أخرَج مُهذب

فهو في معرض مدح فرسه، ولكن وصفه بما لا يسبغ عليه هذا الحسن الذي يريده له، فقد بدت هذه الفرس من خلال حديثه عنها، "بطيئة؛ لأنها تحوج إلى السوط، وإلى أن تركض بالرجل وتُزجَر (81).

## رابعا: المقاربة في التشبيه.

ويعني ذلك قوة الشبه ووضوحه بين طرفي التشبيه: المشبه والمشبه به، وهذا أمرٌ عائد إلى فطنة الشاعر وحسن تقديره، إذ يستطيع أن يدرك ما بين الأشياء وأحسن التشبيه ما وقع بين شيئين بينهما من الاشتراك في من صفات مشتركة، الصفات أكثر مما بينهما من الاختلاف؛ ليظهر وجه الشبه دون تعب، أو أن يكون المقصود بالتشبيه أشهر صفات المشبه به؛ لأن التشبيه يكون واضحًا بينًا لا لبس فيه، كما إذا شبهت الرجل بالأسد في الشجاعة التي هي أشهر خصائص الأسد ولهذا يستحسن النقاد العرب التشبيه الواضح القريب مثلما يستقبحون التشبيه الغامض البعيد، قال المبرد: "وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه، وأحسن منه

71

<sup>(79)</sup> المرزوقي، شرح ديوان الحماسة ، ط1، 1951، ج1، ص 183.

<sup>(80)</sup> المرزوقي، شرح ديوان الحماسة ، ج1، ص 41.

المرزوقي، شرح ديوان الحماسة ، ج1، ص 37. المرزوقي، شرح ديوان الحماسة المرزوقي المرز

ما أصاب فيه الحقيقة، ونبه بفطنته على ما يخفى عن غيره، وساقه برصف قوي، فمن هذه التشبيهات البعيدة قول خفاف ندبة واختصار قريب(82):

أبقى لها التعداءُ من عَتَداتها \*\*\*ومتونها كخيوطةِ الكتان العتدات: تعني القوائم، والمتون: الظهور، فيقول: "دقت حتى صارت متونها وقوائمها كالخيوط وهذا بعيد جدًا

وقول بشر بن أبي خازم وهو يشبه الشمال والدبور بالرماد: وجرَّ الرامساتُ بها ذيولاً \*\*\* كأن شمالها بعد الدبور رمادٌ بين أظآرٍ ثلاثٍ \*\*\* كما وشم النواشر بالنؤور ومن التشبيه الجيد قول الشاعر في وصف مطاردة العقاب للثعلب: تلوذُ ثعالبُ الشرفين منها \*\*\* كما لاذَ الغريمُ من التّبيع

فشبه ذلك بروغان المدين من الدائن، إذ إنّ الدائن يلاحق المدين الذي يجتهد في الاختفاء من الدائن، وهو تشبيه واقع في موقعه؛ لأن حال العقاب مع الثعلب كذلك.

## خامسا: التحام أجزاء النظم، والتئامها على تخير من لذيذ الوزن.

إن هذا العنصر من عناصر عمود الشعر يتحدث عن شيئين اثنين:

الأول: "التحام أجزاء النظم، والثاني النئام أجزاء النظم هذه مع الوزن اللذيذ المتخير، أما الأول فالمقصود به هو حسن تأليف الكلام فتأتي كل كلمة في موقعها، مما ومثال ذلك قول يُضفي على الكلام سلاسة وانسيابًا، فلا يتعثر اللسان في النطق به النابغة" (83):

(83) محمد الطاهر بن عاشور، شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، ص132.

<sup>(82)</sup> المبرد، الكامل، تح ذ محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2 ،1413 ، ص 253 .

فكفكفت مني عبرة فرددتها \*\* \*على النحر منها مستهل ودامع على حين عاتبت المشيب على الصبا \*\* \*وقلت: ألمّا أصح والشيب وازع وقد حال همِّ دون ذلك شاغل \*\* \* مكان الشغاف تبتغيه الأصابع وعيد أبي قابوس في غير كنهه \*\* \*أتاني ودوني راكس فالضواجع

وقد استطاع النابغة أن ينتقل إلى غرض آخر في قصيدته \_ وهو العتاب ومخاطبة الأمير . انتقالاً حسنًا لا يبدو معه بين الغرضين فجوة أو انفصال، ويقول الحاتمي: " وهذا كلام متناسب تقتضي أوائله أواخره، ولا يتميز منه شيء عن شيء. سادسا: مناسبة المستعار منه للمستعار له.

هذا هو العنصر السادس من عناصر عمود الشعر فقد سُبق المرزوقي إلى ذلك حيث أن النقاد السابقين كانوا يطالبون بالمناسبة بين المستعار منه والمستعار له، حيث يقول الآمدي: " وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس هو له إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سببًا من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعناه"(84).

ويقول الجرجاني كذلك: " وإنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر "(85).

ومثال على الاستعارة القريبة الواضحة، تظهر في قول أبي ذؤيب الهذلي: وإذا المنيةُ أنشبت أظفارَها \* \* \* ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

الآمدي، الموازنة، ص  $^{84)}$ 

<sup>(85)</sup> الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص41.

فالموت في فتكهِ كالوحش الذي ينقض على فريسته، أما الاستعارات البعيدة فهي في قول أبي نواس: أمّا الاستعارات البعيدة فمثل قول أبي نواسبُحّ:

صوتُ المالِ مما \*\*\* منك يشكو ويصيح وقوله: ما لرجلِ المالِ أضحت \*\*\* تَشتكي منك الكلالا

فقد جعل للمال صوتًا مبحوحًا في البيت الأول، ورِجلاً تشكو التعب في البيت الثاني، وهما استعارتان لا مناسبة فيهما، فليس من علاقة بين الرِجل والمال أو الصوت والمال.

ويقول أبو هلال العسكري: "ومن سوء الاستعارة وليس لحسن الاستعارة وسوء الاستعارة مثال يُعتمد، وإنما يُعتبر ذلك بما تقبله النفس، أو ترده، ويعلق به أو تتبو عنه قول علقمة الفحل (86).

وكل قوم وإن عزوا وإن كرموا \*\* \*عريفهم بأثافي الشرِ مرجوم أثافي الشر بعيد جدًا "

# سابعا: مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما:

وقد أشار النقاد السابقين إلى هذه القاعدة فها هو الجاحظ في كتابة البيان والتبيين يُشير إليها حيث إنه أفاد من الصحيفة الهندية ومن صحيفة بشر بن المعتمر، فأورد منهما نصوصًا توضح هذا العنصر ويقول الجاحظ على اللفظ: " إلا أني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواقع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني "، ويقول: " ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من

<sup>(86)</sup> أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، 1952.

المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل (87). فمثلاً يقول حبيب:

يا أبا جعفر جُعِلتُ فداكا \* \* \* بّرّ حسنَ الوجوه حسنُ قفاكا

مما لم يُستعمل فيه اللفظ في المعنى اللائق به، فحبيب في معرض المديح، ولكن (القفا) ليس يليق إلا بطريقة الذم، وقول أبو تمام في مدحهِ:

ما زال يهذي بالمكارم دائبًا \*\*\*حتى ظننا أنّه محموم فقد عُيب عليه أنه جعل ممدوحة محمومًا يهذي، فهذه ألفاظ لا تُليق بالمدح، ومن باب المشاكله أن يناسب الكلام مقتضى الحال، وأن يحقق القاعدة (لكل مقام مقال)، فلا يصح مخاطبة رجل الشارع بألفاظ الخاصة والعلماء، كما لا يجوز مخاطبة الخاصة من الناس إلا بما يليق بهم.

### 8- قضية الفظ والمعنى

#### تمهيد:

تعتبر قضية اللفظ والمعنى من بين القضايا الأكثر جدلا في العصر العباسي، باعتبارها قضية إنسانية. وقف عليها اليونان قبل العرب، وقد غرف العرب من الحضارة اليونانية وتبحروا في علومها. فشغلت هذه القضية الفلاسفة والبلاغيين وعلماء الكلام على حد سواء.

تبقى قضية اللفظ والمعنى على رأسِ المشاكل أو القضايا التي شغلت النقّاد العرب؛ وذلك لما نشب حولها مِن اختلافِ لوجهات النظر بين مَن يتعصب للفظ

<sup>(87)</sup> الجاحظ، الحيوان، ج3، ص39.

ومحتج له، وبين من لا يرى سوى المعنى شيئًا يدعو للاهتمام، وبين ثالث على مذهب الوسط، محاولًا التوفيق بين الرأي الأول والرأي الثاني.

## مفهوم اللفظ والمعنى لغة واصطلاحا:

جاء في لسان العرب أنَّ "لَفْظُ: اللَّفْظُ: أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل لَفَظَ الشَّيءَ، يقل: لَفَظْتُ الشيءَ من فمي أَلْفِظُهُ لَفْظًا: رَمَيْتُهُ (88).

أما الجرجاني في كتابه "التعريفات"، فيقول أن "اللفظ: ما يتلفظ به الإنسان، أومن في حكمه . مُهْمَلاً كان أومستعملا، وقال في تعريف المعنى: ما يُقصدُ بشيء "(89).

وذكر "ابن الفارس" صاحب كتاب "المقاييس": { "اللفظ":اللاّم و الفاء كلمة صحيحة، تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك يكون من الفم، تقول:لَفَظَ بالكلام يلفظ لفظا، ولفظتُ الشيء من فمي...، وهو شيء ملفوظ ولفيظ"(90).

يمكن القول أن قضية اللفظ والمعنى، تلك المشكلة النقدية الأكثر شيوعا في الساحة النقدية والعربية، التي حازت من الاهتمام الشيء الكثير، سواء من طرف النقاد أو البلاغيين، أو حتى من علماء الكلام من الفرق الكلامية، إذ تعود في أول ظهورها إلى الفرق: الأشاعرة والمعتزلة،... وقضية التمييز بين القرآن الموجود بين أيدينا والكلام النفسي، مع فتنة خلق القران، وما ثار حولها من جدل و أسئلة مثل: هل القرآن مخلوق لم يكن ثم كان، أي محدث؟ أم أنه كلام الله قديم أزلي و ليس بمخلوق؟ عند الأشاعرة خاصة.

ومن جهة النقاد والبلاغيين، فقد تضارَبت الآراء وتقاطعت، وإن لم يكن الخلاف بينهم بالحدّة التي كانت مع الفرق الكلامية؛ حيث نجد "منهم مَن يردُ أهمَ مقوِّمات

<sup>(88)</sup>ابن منظور ، لسان العرب.

<sup>(89)</sup> الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط1 1983.

<sup>(90)</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر 1979، ص259.

العمل الأدبي، وأقوى دعائم نجاحه إلى المعنى، مقللًا من شأن اللفظ في ذلك، ومنهم من يردها إلى اللفظ، ومنهم من يسوي بينهما"، وعلى مدار انتقاء اللفظ اللائق الذي يكسب المعنى بهاءً ورونقًا، والذي يكون أبلغ في تأدية المعنى المراد من غيره، دارت آراؤهم في هذا المجال اللفظ والمعنى في الفكر الغربي القديم: (أفلاطون – أرسطو) (91).

يتفق معظم الباحثين أن البداية الأولى لقضية اللفظ والمعنى كانت مع الجاحظ (ت255)، "الذي – بالإضافة إلى رأيه في أقسام البيان عامة، وملاحظاته المتعلقة بالظاهرة اللُّغوية... – تمتد تصوراتُه الأسلوبية ومقاييسُه البلاغية في رسوخ في نظريته في الكلام...، (التي تقدر أن الكلام هو المظهر العملي لوجود اللغة المجرد) ؛ أي إن الكلام ما هو إلا تجلُّ ومظهر عملي تطبيقي للغة المجردة القائمة في نفس الإنسان "(92).

ومن جهة أخرى، فإن الجاحظ على عكس ما ذهب إليه عددٌ من الدارسين، من أنه من الذين ينتصرون للألفاظ على حساب المعاني، مستندين في ذلك على قولته الشهيرة: (المعاني مطروحة في الطريق)؛ حيث إن الراجح في الأمر هو أن الجاحظ كان مِن أصحاب المشاكلة والمطابقة بين اللفظ والمعنى؛ وحجَّتُنا في ذلك، هي أن الجاحظ جعل اللفظ والمعنى في مقابل الجسد والروح؛ إذ إن "الأسماء في معنى الأرواح، اللفظ للمعنى بدنّ، والمعنى للفظ روح".

ولعل الأمرَ يزداد وضوحًا مع ما ذكره هو نفسه في البيان والتبيين: "مَنْ أرادَ معنًى كريمًا فليلتمسْ له لفظًا كريمًا، فإن حقّ المعنى الشريف اللفظُ الشريف" وبناءً على ما سبق، فإن الجاحظ لم يتنصِر للفظ على حساب المعنى أو للمعنى على حساب اللفظ، بل ذهب إلى ما سماه بالمشاكلة والمطابقة بينهما وقد تقاطع معه في ذلك ابن قتيبة (ت276)، "الذي أدرَك لحمة المعنى واللفظ في إطار الصياغة

<sup>(91)</sup>مصطفى عبدالرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص196.

<sup>(92)</sup> شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، ص18.

الواحدة"، وإن كان يميز بين أربعةِ أقسامٍ من الشعر - انطلاقًا من ثنائية اللفظ والمعنى - هي:

- 1 ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه.
- 2 ضربٌ منه حسن لفظه وخلا، فإذا أنت فتشته لم تجد فائدةً في المعنى
  - 3 ضربٌ منه جاد معناه وقَصُرتْ ألفاظُهُ عنه.
    - 4 ضربٌ منه تأخّر معناه وتأخر لفظه"(<sup>93)</sup>.

والأمر لا يختلف كثيرًا مع قدامةً بن جعفر (ت337)، الذي ذهب إلى أن العملَ الأدبي يجب أن يتميَّز بإتلاف عناصره النصية؛ حيث يقول فيما سماه بالمساواة: "وهو أن يكون اللفظُ مساويًا للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلًا، فقال: كانت ألفاظُه قوالبَ لمعانيه؛ أي هي مساويةً لها لا يفضئلُ أحدُهُما على الآخر...".

وقد احتل اللفظُ والمعنى عند نقّاد عمودِ الشعر مكانة رئيسة؛ حيث نجدهما على رأس أبواب عمود الشعر السبعة عند المرزوقي (ت421)، الذي كان آخرَ حلقةٍ في تطورِ هذه القواعد، ومعه استوت على سوقِها، حيثُ ذكر أن شروط تطور القصيدة هي:

- •شرف المعنى وصحته.
- •جزالة اللفظ واستقامته.
- الإصابة في الوصف.
  - •المقاربة في التشبيه.

ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص67/67/65.

- •التحام أجزاءِ النظم والتئامها على تخير من لذيذِ الوزن
  - مناسبة المستعار منه للمستعار له.
- •مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا تكون منافرة بينهما "(94).

وقد ذكر عيارَ كلِّ واحدٍ منهما - أي عيار اللفظ وعيار المعنى - فقال: "فعيارُ المعنى أن يُعرَضَ على العقل الصحيح، والفهم الثاقب، فإذا انعطف عليه جَنبتا القبولِ والاصطفاء، مُستأنِسًا بِقَرَائنه، خرج وافيًا، وإلا انتقض بمقدار شَوْبِهِ ووحشته" (95).

وقال في اللفظ: "وعيار اللفظ الطبعُ والرِّوايةُ والاستعمالُ، فما سلِم ممَّا يُهجنهُ عند العرض عليها، فهو المختارُ المستقيم...".

أما عبدا لقاهر الجرجاني، فقد كان لتأخره زمنيًا عن كل المذاهب الأثرُ الإيجابي في اطلاعه على مختلف الآراء النقدية التي قيلت حول هذه القضية؛ حيث "اجتمعت لديه آراؤهم، وأفاد مِن خبرتِهم، ولكنه تجاوزهم إلى رأي خاص، وكانت له في هذا المجال أصالة وتعمق، وكان صاحب مدرسة في النقد، أدرك فيها ما لم يُدرك النقادُ... "(96).

ولعل أكبر ما اشتهر به عبدا لقاهر الجرجاني في النقد الأدبي هو عَلاقة اللفظ والمعنى بالإعجاز القرآني، التي اصطلِح عليها فيما بعد (بنظرية النظم)، هذه النظرية التي كانت بمثابة الخلاصة التي أفرزَتْها قضية اللفظ والمعنى، خصوصًا في المشرق العربي، حيث "صاغ فلسفتَه البلاغية التي جعل محورَها نظريتَه في النظم

<sup>(94)</sup> المرزوقي، شرح المقدمة الأدبية على ديوان الحماسة لأبي تمام، ص35.

<sup>.36–35</sup> مرزوقي، شرح المقدمة الأدبية على ديوان الحماسة لأبي تمام، ص35–36.

<sup>(96)</sup>مصطفى عبد الرحيم إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب. مكة للطباعة 1998. ص198.

التي ربط فيها بين اللفظ والمعنى وبين دلالة الألفاظ الأسلوبية ودلالاتها الثانوية، وجعل النظم وحدة هو مظهر البلاغة ومثار القيمة الجمالية في النص الأدبي "(97) ويمكن أن نلخص ذلك فيما يلى:

1. يرى عبد القاهر الجرجاني أن اللفظ رمز لمعناه، وهو في ذلك يلتقي مع كل النقاد العالميين القدامى والمحدثين، ومع المدرسة الرمزية في اللغة.فالكلمة رمز للفكرة المعنى، وقيمتها فيما ترمز إليه، وليست في البلاغة العاطفة أو أو التجربة أو وحدها.

2. العلاقات الأسلوبية بين الألفاظ هي موطن البلاغة في رأي الجرجاني، وهي موطن البلاغة، وهي ما عبر عنه بالنظم وما عبر عنه النقاد بالشكل أو الصورة، فمن مجموعة العلاقات بين الألفاظ في النص الأدبي تتكون الصورة و فيها تظهر البلاغة أو الجمالية.

3. لم يغفل الجرجاني عن أهمية المعاني الثانوية ودلالاتها الجمالية في النص الأدبي، سواء كانت هذه المعاني ثانوية لزومية، أو من مستتبعات التراكيب، أو أثراً لرموز صوتية، وإيحاءات نفسية، فهي التي تعطي الأسلوب دلالاته البلاغية وتمنحه قيمة جمالية.

4. ربط الجرجاني بين اللفظ و المعنى وبين دلالات الألفاظ الأسلوبية و دلالاتها الثانوية، وجعل النظم وحده مظهرا للبلاغة و مثارا للقيمة الجمالية في النص الأدبي، إذ تقوم فكرة النظم على الألفاظ ولا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمات مفردة، ولكنها تتفاضل في ملائمة معانيها للمعاني التي تليها في السياق الذي وردت فيه، وأن اللفظة قد تروق و تحسن في موضع، وتثقل وتوحش في

<sup>(97)</sup>مصطفى عبد الرحيم إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص199.

موضع آخر، وإن التأليف والنظم هو وحده الذي يحدد ملائمة الكلمة وعدم ملائمتها بالنسبة لما قبلها و ما بعدها.

وبهذا تكون قضية اللفظ والمعنى قد نضجت على يد الجرجاني.

وعليه نستنتج أن جُل النقاد ذهبوا إلى الموافقة أو الإتحاد والمشاكلة بين اللفظ والمعنى، في حين كان أنصار اللفظ في أكثرهم من علماء اللغة، لأن الألفاظ هي أساس كل القواعد اللغوية من نحو وصرف وبلاغة...

# 10- قضية الصدق (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب).

تعتبر قضية الصدق من القضايا النقدية التي دارت حولها نقاشات حادة، وتباين مواقف النقاد تجاهها، كونها من المقاييس المهمة في جودة الشعر؛ لأنها تدور حول محتوى الإشكالية: هل يجب أن يكون الشاعر صادقا في شعره ؟. وهي الإشكالية التي انقسم حولها النقاد إلى ثلاثة اتجاهات، هي: الاتجاه الأول: وهم أنصار المقولة النقدية "أحسن الشعر أصدقه.

الاتجاه الثاني: يمثله أنصار المقولة النقدية "أحسن الشعر أكذبه.

الاتجاه الثالث: يمثله أنصار المقولة النقدية "أحسن الشعر.

مفهوم الصدق لغة: ورد معاني كلمة الصدق على أنها ما يناقض الكذب، فهي القول غير الكاذب، وهي انجاز الوعد أو الوعيد وتحقيقه، وهي المضاء في في الأمر دون نكوص، وهي حقيقة الشيء لا عرضه، والصدق ما جمع الأوصاف المحمود، ما يناقض الكذب؛ هي القول غير "أو كان مستويا لا اعوجاج فيه" (98).

<sup>( &</sup>lt;sup>98 )</sup> ابن منظور ، لسان العرب، مج ،10ص :،196 ،193 مادة: ص، د، ق

يتضح من هذا القول أن الصدق يجمع كل معاني مقاربة الحقيقة - أي قول الحق - والواقع.

أما في الاصطلاحا: إن صدق الأديب في أدبه، يعني أنّه "يهيب لأدبه قيمة خالدة، وهذا ما نجده في العاطفة وصدقها أو صحتها، لوجود الداعي الأصيل، الذي يهيّج الانفعالات الأصيلة الصحيحة، التي تجعل الأدب مؤثّرا في نفوس سامعيه""(99). أي أن يكون الأديب صادقا في تمثيل مشاعره بما يؤثر في المتلقي.

للإشارة فإن قضية الصدق تناولها النقاد في مقابل الكذب، لذلك استقرت على نوعين من الصدق وهما: "الصدق الواقعي: وفي هذه الحالة يكون هدف وصدق الأديب أو الشاعر صدقا مرّده إلى العرف الاجتماعي. أما الصدق الفّني: فهو أصالة الكاتب في تعبيره"(100).

كما استقرت على نوعين من الكذب هما: "كذب واقعي: يلجأ إليه الأديب أو الشاعر التزاما لواقع الحال، وهناك الكذب الفني، الذي تُوجبه الصورة الفنية، وما المدح التكسبي إلا نوع من هذا؛ لأن الصورة فيه غير صادقة (101) ولئن قضية الصدق والكذب ارتبطت بالمعاني الشعرية، فإن مفهوم الكذب يتفق مع الصدق في مجال الشعر؛ "لأن المعجم اللغوي -وهو أقرب إلى الحقيقة والواقع - يزّودنا بالاستعمالات المجازية للكلمات التي تكتسب شكل الحقيقة بطول الاستعمال

<sup>(98)</sup> هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: . 206.

<sup>(99)</sup> هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص: . 196

<sup>(100)</sup> المرجع نفسه، ص196.

وكثرته، لذلك يجب توّخي النظر في فهم تداول الكذب عند النقاد. بطول الاستعمال وكثرته" (102).

### قضية الصدق والكذب عن النقاد القدامي:

### أ- قضية الصدق والكذب عند ابن طباطبا:

لقد جعل ابن طباطبا الصدق أهم عناصر الشعر بل أهم مزاياه في فهمه والتأثر به؛ يتجلى ذلك في حديثه عن المثل الأخلاقية عند العرب، وفي حديثه عن علّة حسن الشعر إذ يقول: "ولحسن الشعر وقبول الفهم إيّاه علّة أخرى، وهي موافقته للحال"(103)، فضلا عن حديثه عن صدق العبارة،..." تضاعف حسن موقعها عند مستمعها، لاسيما إذا أيّدت بما يجذب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها، والتصريح بما كان يكتم منها، والاعتراف بالحق في جميعها "(104)، في المقابل يُبدي نفوره من الإفراط والإغراق في القول لمجانبتهما واقع الحال، وبُعدهما عن الصدق؛ لأن الصدق عنده "يعني السلامة التامة من الخطأ في اللفظ والجور في التركيب والبطلان في المعنى "(105).

فإذا كان الصدق في الشعر - حسبه - هو الاعتدال بين اللفظ والمعنى والتتاسب الجمالي بينهما الذي يهيئ الفهم وقبول التجربة الشعرية، فإنه حمل دلالات متعددة في ارتباطه بالشعر، منها: صدق الشاعر في ذاته، وصدق الشعر من خلال

<sup>( &</sup>lt;sup>101</sup>) الجوهرة آل جهجاه، "تجليات التشكيل النقدي لنظرية الصدق في النقد العربي القديم"، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة (مجمع)، السنة الأولى، العدد ،2مارس، 2012، ص1.

<sup>( 102 )</sup> ابن طباطبا، عيار الشعر، ص22.

<sup>( &</sup>lt;sup>(103</sup> المرجع نفسه، ص22

<sup>. 142</sup> إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص $^{(104)}$ 

تجنب الخطأ في اللفظ والمعنى والتركيب، و"صدق التجربة الإنسانية، والصدق التاريخي، والصدق الأخلاقي، والصدق التصويري" (106).

وعليه، فابن طباطبا كان ممن آمن بمقولة أحسن الشعر أصدقه؛ لأنه يرى أن سرّ الجمال في الشعر وقوة تأثيره تكمن في صدقه، لأن العقل سيشهد له بالحسن والصحة. ما يعني أنّه عمل على تقويض القوة التخييلية والحد منها.

النموذج النقدي: لقد طرح ابن طباطبا الصدق التصويري أو ما سمّاه صدق التشبيه، أي على الشاعر أن يحتكم إلى الصدق والتوافق بين تشبيهاته في الصورة والهيئة واللون والحركة، كقول" ذي الرمة:

ما بال عينيك منها الدمع ينسكب \*\* \* كأنه منكِلي مفرية سرب.

ومن التشيبه الصادق قول امرئ القيس:

نظرت إليها والنجوم كأنها \* \* \* مصابيح رهبان تشب لقَّفال

شبّه في هذا البيت النجوم بمصابيح الرهبان في فرط ضيائها، فهو يقصد أن النجوم تبقى ساطعة طول الليل ويتضاءل نورها كلما اقترب الصباح، شأنها شأن القفال الذي يهتدي بالنيران الموقدة (مصابيح الرهبان) في أحياء العرب. ليطرح بعد ذلك مثالا شعريا في تتاسق الكلام حيث الصدق والحقيقة لا مجاز معها فلسفيا "، كقول القائل:

وفي أربع مني حلت منك أربع \*\*\* فما أنا دار أيُّها في حلت منك أربع في فمي \*\*\* أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

<sup>( 105)</sup> ابن طباطبا، عيار الشعر، ص28.

في المقابل نجد ابن طباطبا يعيب مخالفة الصدق والبعد عن الحقيقة، كما في قول" المثقب في وصف ناقته:

تقول وقد درأت لها وضيني \*\*\* أهذا دينُه أبدا وديني أكل الدهر حلٌ وارتحال \*\*\* أما يُبقي على ولا يقيني

فهذا من المجاز البعيد عن الحقيقة؛ لأن الناقة لو تكلّمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول. أما القول الذي يقارب الحقيقة فهو "قول عنترة في وصف فرسه: فازَّور عن وقع القنا بلبانِه \*\*\* وشكا إلى بعبرة وتحمحِم

# ب- قضية الصدق والكذب عند قدامة بن جعفر:

يرى قدامة بن جعفر بعدم تقيّد الشاعر بالصدق أو الكذب؛ ومقياسه في الحكم على الشعراء هو جودة الشعر، والقدرة على صناعته وصياغته، لذلك يطالب الشاعر بالصدق القني لا بالصدق الواقعي، لأنّه يؤمن بمن يقول "أحسن الشعر أكذبه. ويقصد بالكذب الكذب القائم على التخييل وضروبه المختلفة، كالاستعارات، والتشبيهات، التي تبعد بالعبارة عن الحقيقة والواقعية "(107)، فهو يقف مناقضا لمبدأ الصدق الذي دافع عنه ابن طباطبا، يؤكد ذلك بقوله: "إن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقا، بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كائنا ما كان، أن يجيده في وقته الحاضر، لا أن ينسخ ما قاله في وقت آخر"، يلاحظ من خلال هذا القول، أن قدامة لا يطالب الشاعر بصدق الموقف أو الواقع، بل يطالبه بالإبداع، أي أن يوّفي اللحظة الشعرية حقها.

كما يرى أن في المعاني، لا يضر بجودة الشعر، معلّلا ذلك في قوله: "وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى... من المعاني الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ

<sup>( 106)</sup> هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص203.

من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة "(108)، إذا، فالجودة في الشعر هي المقياس الأساس في الحكم النقدي على الشعراء، والدليل على ذلك ما قاله في مناقضة الشاعر لنفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئا حسنا ثم يذمه بعد ذلك، فهو لم ينكر عليه ذلك إذا أحسن المدح أو الذم، إنما هو دلالة على اقتدار الشاعر على صناعته.

لنخلص إلى القول بأن قدامة بن جعفر، ومن خلال الملاحظات السابقة تجاه قضية الصدق والكذب كان يطالب الشاعر ببلوغ الجودة في الصناعة الشعرية وصياعتها بغض النظر عن الصدق أو الكذب فيها.

النموذج النقدي: يؤمن قدامة بمقولة أنصار "أحسن الشعر أكذبه" بمعنى أنهم يختارون المبالغة والغلّو، فكان خير من استلهم البيوتيقا الأرسطيّة، واستثمرها في نقده للشعر. فلنقرأ لقدامة الذي يُدافع عن موقفه من خلال تحليله بيت حسان بن ثابت ودفاعه عنه:

لَنَا الجَفناتِ الغُّرِ يَلَمعنِ بالضحى \* \* \* وأسيافُنا يَقطُرَنِ من نَجدة دما وذلك أَنهم يرون موضع الطَّعن على حسان في قوله: (الغُر) وكان ممكنا أن يقول (البيض)؛ لأَن الغَّرة بياض قليل في لون آخر غيره، وقالوا: فلو قال: (البيض) أحسن، وقوله: لكان أكثر بياضا من الغَّرة، وفي قوله: (يلمعن بالضحى) ولو قال (وأسيافنا يقطُرن من نجدةٍ دما) قالوا: ولو قال (يجرين) لكان أحسن؛ إذ كان الجري أكثر من القطر.

ومن أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان من النابغة كان أو من غيره - خطأً، وأن حسانا مصيب؛ إذ كان مطابقة المعنى بالحق في يده، وكان الرُّد عليه

 $<sup>^{(107)}</sup>$  قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ص $^{(107)}$ 

عادلا عن الصواب إلى غيره. فمن ذلك أن حسانا لم يُرد بقوله: الغر أن يجعل الجفان بيضا، فإذا قصر عن تصيير جميعها بيضا نقص ما أراده، لكنه أراد بقوله الغر: المشهورات؛ كما يُقال: يومٌ أغُر، ويّد غَراء، وليس يُراد البياض في شيء من ذلك، بل يراد الشهرة والنباهة.

وأما قول النابغة في يلمعن بالضحى وأنه لو قال بالدجى لكان أحسن من قوله: بالضحى؛ إذ كل شيء يلمع بالضحى، فهذا خلاً ف الحق وعكس الواجب؛ لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء، فأما الليل فأكثر الأشياء من أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه. فمن ذلك الكواكب وهي بارزة لنا مقابلة لأبصارنا، دائما تلمع بالليل ويقل لمعانها بالنّهار حتى تخفى، وكذلك السرب والمصابيح ينقص نورها كلّما أضحى النهار، وفي الليل تلمع عيون السباع لشدة بصيصها وكذلك البراع حتى تخال نارا.

فأما قول النابغة أو من قال: إن قوله في السيوف: يجرين خيرٌ من قوله: يقطرن؛ لأن الجري أكثرُ من القطر، فلم يُرد حسان الكثرة وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا: سيفه يقطر دما، ولم يُسمع: سيفه يجري دما، ولعله لو قال: يجرين دما عدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجر عادةُ العرب بوصفه... فأقول: إن الغلّو عندي أجوُد المذهبين، ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المقدم ذكره، فهو مخطئ، لأنهم وغيرهم – ممن ذهب إلى الغلو – إنما أرادوا به المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم؛ فإنما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النّعت، وهذا أحسن من المذهب الآخر (109).

 $^{(108)}$  قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، ص $^{(108)}$ 

# ج- قضية الصدق والكذب عند القاهر الجرجاني:

يعتبر عبد القاهر الجرجاني ممن تميّز في رؤيته لقضية الصدق والكذب من الناحية الفنيّة والأدبية، بعيدا عن الجانب العقلاني المنطقي. مقوما إيّاها في المقولتيين النقديتين السابقتين فالصدق عنده هو: "أن خير الشعر ما دل على: "أن أحسن الشعر أصدقه حكمة يقبلها العقل... وموعظة ترّوض جماح " وهما: – مقولة الهوى، وتبعث على التقوى، وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال، كما قيل: كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه "(110)، يتضح من هذا القول أنّه يطرق مفهوم الصدق الأخلاقي الذي يُعنى بمقاربة الحقيقة والواقع، ومجانبة المبالغة والإغراق.

أم مقولة: أحسن الشعر أكذبه فيرى أن "الصنعة إنما تمد باعها، وتتشر شعاعها، ويتسع ميدانها، وتتفرع أفنانها؛ حيث يُعتمد الاتساع والتخييل، ويُدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل...ويذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذّم والوصف والنعت والفخر والمباهاة وسائر المقاصد والأغراض، وهناك يجد الشاعر سبيلا إلى أن يُبدع ويزيد، ويُبدي في اختراع الصور ويُعيد، ويُصادف مضطربا كيف شاء واسعا، ومددا من المعاني متتابعا "(111) فهذا القول يحرر الصدق من مفهومه الأخلاقي إلى المفهوم القني حيث إطلاق العنان للإبداع من خلال البعد التخييلي لبلوغ الجودة الفنية في البلاغة وفي القوة. وعليه، فهو "تقويم إبداعي يتفّهم خصوصية العملية الشعرية التي تحرص على التواصل الشّفاف والفعّال مع خيال

<sup>(109)</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر،مطبعة المدني، القاهرة، ص271-

<sup>(110)</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص(110)

المتلّقي، وقدرته على التوّهم مجاراة للشاعر"، من خلال مطابقة مقولة البحتري التي الحتج بها على ناقديه:

كلَّفتمونا حدود منطقكم \* \* \* والشعر يُغنى عن صدقِه كذبُه

أي مدح الممدوح بما يجب أن يكون فيه من صفات عامة دون مراعاة صدق الموقف والواقع، لا بما هو كائن فيه من صفات خاصة. إذا، فعبد القاهر الجرجاني يقدم الإبداع والإغراب أي الصدق الفني على الصدق الأخلاقي؛ كونه الأصل في دفع التجربة الشعرية إلى التطور حيث القدرة على الصناعة والصياغة والإبداع.

النموذج النقدي: يذكر عبد القاهر أمثلة لحسن التعليل التخييلي فيقول: "ومما له في التفضيل الفضل الظاهر لحسن الإبداع، مع السلامة من التكلّف قوله: وماء على الرضراض يجريكأنه \*\*\* صحائف تبر قد سبكن جداولا كأن بها من شدة الجري جنّة \*\*\* وقد ألبسته بن الرياح سلاسلا

فسبق العُرف بتشبه الحُبُك على صفحات الغدران بحلق الدروع، فتدرج من ذلك إلى أن جعلها سلاسل، كما فعل ابن المعتز في قوله:

وأنهار ماء كالسلاسل فُجرت \* \* لترضع أولاد الرياحين والزهِر

ثم أتم الحذق بأن جعل للماء صفة تقتضي أن يسلسل، وقرب مأخذ ما حاول عليه، فإن شدة الحركة وفرط سرعتها منصفات الجنون، كما أن التمهل فيها والتأني من أو لنصل في الأخير إلى المرزوقي الذي أضاف إلى المقولتين السابقتين "مقولة ثالثة وهي أحسن الشعر أقصده، ولم يرّجح واحدا من هذا الموقف، وإنما الاقتصاد قال: إن لكل وهي المقولة التي أشرنا إليها في قضية عمود "موقف أنصاره" (112)، الشعر. والتي آمن من خلالها بالوسطية فجعلها ذات وسط وطرفين، فإما أن ينحى

<sup>( &</sup>lt;sup>111)</sup> عبد القاهر الجرجاني، ص271–272.

الشاعر مذهب الصدق، وإما أن ينحى مذهب الكذب (الغلّو، والمبالغة، والإغراق)، وإما أن يكون مقتصدا بينهما.

# 11- الموازنة النقدية

#### الموازنة لغة:

معنى الموازنة المثقال والمقابلة والمساواة والمعادلة بين شيئين، ومنه جاء الميزان، وقد وردت الموازنة بمعنى المعادلة أو المقابلة والقسط وقد وردت في النقد القديم مصطلحات توازي الموازنة دلاليا منها: المقارنة والمفاضلة والمقابلة والمضارعة والمقايسة.

#### الموازنة اصطلاحا:

لا نكاد نجد تعريفا منضبطا ومنهجيا لمفهوم الموازنة في النقد العربي القديم، قصارى ما جاء عندهم ربطها بالجانب البلاغي، ويقصد بها: "أن تأتي الجملة من الكلم، أو البيت من الشعر متزن الكلمات، متعادل اللفظات في التسجيع والتجزئة معا في الغالب"، ويعرفها ابن الأثير بقوله: "هي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلم المنثور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزنا"(113)،

لقد ظهرت الموازنات النقدية في تاريخ الأدب العربي منذ عصور مبكرة، وبقيت تسايره إلى اليوم، فهي وسيلة نقدية تاريخية نجدها في قصة أم جندب وموازنتها بين امرئ ألقيس وعلقمة في وصف الفرس، والنابغة الذبياني كان يوازن بين الشعري في سوق عكاظ، وعليه فقد كانت الموازنة أساسا للمفاضلة بين الشعراء

<sup>( &</sup>lt;sup>112</sup>) أبو الفتح ضياء الدين بن األثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 1420ه، ج 01 ،تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيرو ت، لبنان، ص 272.

منذ الجاهلية، وعند مجيء الإسلام أصبحت الموازنة بين القرآن الكريم وكلام العرب، وكان العصر الأموي ازخرا بالموازنات بين فحول الشعراء وبين الخطباء والأدباء.

ولما جاء العصر العباسي بدا هذا الفن النقدي نشيطا بين الشعراء، وما يهمنا هو الموازنات المتصلة بالتدوين التي بدأت بابن سالم الجمحي وموازنته بين الشعراء وجعلهم في طبقات إلى أن وصلت إلى نقاد المغرب العربي والأندلس فيما بعد.

## الموازنة في اصطلاح النقاد المعاصرين:

أما في اصطلاح المعاصرين فهو: "منهج نقدي تطبيقي، يرمي إلى تحقيق الغايتين: الوصف والحكم أو كليهما معا، وذلك بدراسة أديبين أو أكثر إحدى شاملة دراسة على وفق معايير نقدية تختلف من ناقد لآخر تبعا لمذهبه في الأدب ونقده"(114).

## أولا-الموازنة بين الشعراء الابن سلام الجمحى:

في كتابه طبقات فحول الشعراء جملة من الأحكام النقدية التي تقوم على الموازنة، ومن هذه الآراء ما جاء في قوله: "لما بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالك: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما، فلقيهما ثم استمع فأتى أباه قال: جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر فقال "الأخطل: فجرير أشعرهما". ثم قال:

إني قضيت قضاء غير ذي جنف \*\*\* لما سمعت وجاءني الخبر إن الفرزدق قد شالت نعامته \*\*\* وعضه حية من قومه ذكر

<sup>( 113)</sup> إسماعيل خلباص حمادي، (1989)، الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا، غير منشورة لنيل شهادة الماجستير (النقد الأدبي)، كلية التربية، جامعة، ص1

واستطرد في الحديث عن هؤلاء الشعراء فقال: " وسألت بشارا العقيلي عن الثلاثة، فقال: لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه، فقلت: فجرير والفرزدق؟ قال كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق وفضل جريرا عليه ويقدم ابن سلام شاهدا آخر فيقول "عن عكرمة بن جرير حين سأل أباه عن الشعراء فقال: الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر " (115)،

من خلال موازنات ابن سلام في كتابه الطبقات، نخلص أنه بنى هذه الموازنات على مقاييس منها، ووفق هذه المقاييس جاء جودة الشعر وكثرته تصنيفه للشعراء في طبقات.

ومن النماذج السابقة نلحظ البدايات الأولى للموازنة، فهي مقارنة سريعة بين بيت لهذا وبيت لذاك، "وربما ظلت الموازنة رأيا خاصا لشاعر في شاعر، وأن كان هذا الرأي لا يخلو في بعض الأحيان من تفهم لأداء شعري من حيث مقارنته بأداء سواه".

# ثانيا: الموازنة بين الشعراء للآمدي في كتابه الموازنة بين الطائيين.

لقد استخدم الآمدي ومن بعده القاضي الجرجاني وسيلتين نقديتين متطورتين لم تكونا معروفتين بشكل منهجي، وهي الموازنة والتحليل، وقد فاضل الآمدي بين "البحتري وأبي تمام لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما، وذكر لكل خواصه مع ميل للبحتري وإن حاول إخفاءه وادعى البراءة منه. وتقوم منهجية الآمدي في الموازنة على تتاول شعر الشاعرين فيما أحسنوا وأجادوا، وفيما أساؤوا وقصروا، ويشرح الآمدي خطوات منهجه قائلا: "وأنا ابتدئ بذكر مساوئ هذين الشاعرين لأختم محاسنهما وأذكر طرفا من سرقات أبي تمام

 $<sup>^{(114)}</sup>$  ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج $^{(114)}$ 

وإحالاته وغلطه وساقط شعره، ومساوئ البحتري في أخذ بعض معانيه، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقت في الوزن والقافية ، وإعراب القافية، ثم بين معنى ومعنى، فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك وتتكشف"(116).

والموازنة في رأي الآمدي تتم كما يلي:

- \* أخذ معنيين في موضعين متشابهين.
- \* تبيان الجيد والرديء مع إيراد العلة.
- \* تبيان الجيد والرديء دون إي ارد علة، لأن بعض الجودة والرداءة لا يعلل.
- \* إصدار الحكم بأن هذا أشعر من ذاك في هذا المعنى دون إطلاق الحكم النهائي العام.

كما قسم الشعر إلى موضوعات كالوقوف على الديار والغزل والمدح والوصف والفخر وغيرها، وهكذا يثبت الأمدي بالأدلة والقرائن أيهما أشعر دون إطلاق حكم نهائي، إلا أنه يظهر ميله إلى البحتري وهذا ما عابه عليه النقاد. وقد عمد إلى تقسيم الشعر تقسيما يعتمد على الموضوع، كالشعر الذي تناول موضوع الوقوف على الأطلال والديار، والشعر الذي موضوعه الغزل والنسيب، وشعر مضمونه المديح، وآخر اختص بالوصف وآخر بالفخر...وهكذا ثالثا: الموازنة بين الشعراء للقاضي الجرجاني في كتابه الوساطة

تبدو قضية الموازنة في كتاب الوساطة واضحة عند مقارنة الجرجاني بين صورة فنية وأخرى، عند شاعرين، أو بين معنى ومعنى، فتراه يقابل بين بيت لامرئ القيس وبيت آخر لعدي بن بن الرقاع، وجاء في قوله".... وقد علمت أن الشعراء قد تداولوا ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزالن حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب

<sup>(</sup>  $^{(115)}$  الآمدي، الموازنة بين شعر شعر أبي تمام والبحتري ، ج $^{(15)}$  ، ص $^{(115)}$ 

تخلو منه إلا في النادر الفذ" (117) ثم يأتي ببيت امرئ القيس: تصد وتبدي عن أسيل وتَتقى \*\*\* بناظرة من وحش وجرة مطفل

ثم يعرض بيتا آخر لعدي بن الرقاع:

وكأنها بين النساء أعارها \* \* \* عينيه أحور من جآذر جاسم

وفي تعليق الجرجاني على هذين البيتين بين أنهما من الشعر الجيد ، لأن قلوب السامعين تتعلق بهما بالرغم من أن المعنى يكاد يكون واحدا ، والألفاظ خالية من الصنعة ، وبعيدة عن البديع ، فتداول ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزلان شائع بين الشعراء ، ولكن الموازنة تقع فيها يتجاوز هذا التكرار إلى البناء الفني نفسه.

وأما باقي الموازنات يمكن أن نطلق عليها مقايسات ، فالجرجاني يحاول أن ينصف المتنبي فلا يناقش ما أخطأ فيه، بل يقيسه بأشباهه ونظائره عند الشعراء المتقدمين، وعنده وأنهم لم يسلموا هم من الخطأ. رابعا: الموازنة بين الشعراء لابن رشيق في كتابه العمدة

ألم ابن رشيق في كتابه العمدة بآراء سابقيه مما يتصل بالموازنة، فجعل بابا في القدماء والمحدثين وقال": وكان عمرو بن العلاء يقول: لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبياننا بروايته، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق، وجعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين وكان لا يعد الشعر إلا للمتقدمين (118)،

ثم أورد كلاما في تفضيل امرئ ألقيس على سائر الشعراء ومن ذلك قوله": وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس بن عند المطلب وقد سأله عن

<sup>(116)</sup> الجرجاني، الوساطة، ص31.

ابن رشيق، العمدة، ج1، ص90.

الشعراء: امرؤ ألقيس سابقهم، خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر (119)،

ثم روى رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه النقدي في شعر زهير بن أبي سلمى، وذلك في الحديث الذي رواه ابن عباس أنه قال": قال لي عمر أنشدني لأشعر شعرائكم، قلت ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: ولم كان كذلك ؟ قال: كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه.

وبعد ذلك يقسم ابن رشيق على سبيل الموازنة الشعراء إلى طبقات زمانية وفنية، والى مطبوعين ومتكلفين وإلى أنصار اللفظ وأنصار المعنى، ثم يوازن بين الشعراء في البديهة والارتجال، ثم يوازن بين المتتبي وأبي تمام وما إلى ذلك.

## خامسا: الموازنة بين الشعراء لحازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء.

إن الملاحظة البارزة في موازنة حازم أنها كانت أقرب للواقع في معرفته طريقة الموازنة أكثر من غيره من النقاد القدامي الذين سبقوه، ويتضح ذلك في كلامه عن مبدأ هام من مبادئ المفاضلة وهو النسبية في الأحكام، فحسبه لا يمكن تحقيق المفاضلة تماما وإنما على سبيل التقريب وترجيح الضنون، والشعر يختلف باختلاف أنماطه وطرقه ، ويختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، ويختلف باختلاف الأشياء فيما يليق بها من الأوصاف والمعاني، ويختلف بحسب ما تختص به كل أمة من اللغة المتعارفة عندها الجارية على ألسنتها..

وقد فصل حازم القرطاجني في تباين أنماط الشعر وطرقه، فبين أن من الشعراء من يحسن في نمط القول الذي يقصد فيه الجزالة والمتانة، غير أنه لا يحسن في النمط الذي يقصد فيه النمط الذي يقصد فيه

ابن رشیق، العمدة، ج1، ص94.

اللطافة والرقة، ولا يحسن في النمط الذي يقصد الجزالة والمتانة ، ونجد بعض الشعراء يحسن في طريقة من الشعر كالنسيب مثلا ولا يحسن في طريقة أخرى كالهجاء، والعكس صحيح، كذلك نجد أهل زمان يحسنون وصف القيان والخمور، وأهل زمان آخر يعنون بوصف الحروب والغارات.... وهكذا، والشعر يختلف كذلك باختالف الأمكنة مما يلهم بعض الشعراء أن يصفوا الوحش (البادية)، وآخرون يصفون الخمر (الحاضرة).

لذلك فإن المفاضلة أمر نسبي غير قطعي، ويكون الحكم فيه على سبيل التقريب. ويضرب حازم مثلا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين اختصم الناس عنده في أشعر الناس. فقال: "كل شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن، فإن يكن أحد فضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر، فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة (120)،

من هذا المثال نرى أن عليا رضي الله عنه، قد أرسى قواعد المفاضلة بين الشعراء، والتي تتمثل في وحدة الزمان والمكان والغاية، فإن أقيمت المفاضلة بين شعراء، اختلفت أزمانهم وغاياتهم، وتباينت مذاهبهم، فإن هذا يحول دون تحقق الموازنة الحقة، وهذا ما يقر به حازم القرطاجني أيضا.

# 12- نظرية النظم

## مفهوم النظم لغة:

<sup>( 119)-</sup> القرطاجني، منهاج البلغاء، ص120.

يرى صاحب كتاب "قاموس المحيط" أن "النظم هو تأليف وظم شيء إلى شيء آخر "(121)،

ما نظمته أما "ابن منظور"، فيرى في "لسان العرب" بأن النظم: {التأليف... والنظم: من لؤلؤ و خرز و غيرهما}. منه نظمت، وكل شيء قرنته بآخر، ظممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته "(122)،

#### الإصطلاح:

فهو تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. ولما كانت الحاجة ماسة وملحة، لمعرفة تمييز جيد الكلام من رديئه، وأصبح الكلام أحق العلوم الإنسانية، بالدراسة والتعليم، بعد معرفة الله عز وجل، لذلك قال أبو هلال العسكري: "إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ، بعد معرفة الله عز وجل ثناؤه، علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى. وقد علمنا أن الإنسان، إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة، ما خصه الله به، من حسن التأليف وبلاغة التركيب "(123)،

لقد وجه "المعتزلة" دراستهم لبيان الأسلوب، فكانوا أقدر من غيرهم على تفهم دقائق النظم، لما توفر لهم من قدرة في الفصاحة و البيان، وتنوع في الثقافات، وجمعُهم لعيون الأدب شعرا و نثرا. وقد حاولوا الكشف عن معاني الأساليب المختلفة، ليصلوا منها إلى الوجه الذي يرضي ذوقهم، فلاحظوا ملاحظات عامة في الكلام ودَوَّنُوها في كتبهم.

إذ ألف "بشر بن المعتمر": صحيفة في البلاغة، يرشد الناس فيها، إلى القول البليغ وخصائصه. وتبعه "الجاحظ" فألف كتاب: "البيان و التبيين"، فرأى أن الألفاظ

<sup>.155</sup> فيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص(120)

<sup>( &</sup>lt;sup>121)</sup>ابن منظور ، لسان العرب، ج14، ص294.

<sup>( 122)</sup>أحمد مطلوب، أساليب بلاغة، ص55.

دائما، ليست على قياس المعاني، للمعاني أقدار ينبغي أن يعرفها و يدركها المرء. فهي حسب أقدار المستمعين و مستوياتهم الفكرية. وأن القرآن الكريم يدل بالكلمة المختصرة على معان عديدة، يطول شرحها، أي تضمين المعنى الكبير في اللفظ اليسير.

كان النحاة كالمعتزلة من أوائل من اهتم بحقل النظم في الدراسات اللغوية، وذلك عندما درسوا السلاسل الكلامية و حلَّلُوها. وتتاولوا الجملة وما يعتريها من تقديم المسند إليه وتأخيره، وما يصيبه (المسند إليه ) من ذكر وحذف، وما ينالها (الجملة) من فصل ووصل.

لعل "سيبويه" هو الرائد الأول لهم في دراسة ذلك، باستقصاء فيما قدم في كتابه، ونقل عنه من تلاه.

فنشأت كلمة نظم عند "الأشاعرة"، لأن النظم اصطلاح، يشيع في بيئتهم، وإن كان يجري على بعض ألسنة المعتزلة؛ مثل الجاحظ الذي ألّف كتابا في نظم القرآن، و"القاضي الجرجاني" الذي تتاول النظم بشيء من الدقة والتفصيل؛ إذ نفى أن يكون مرجع الفصاحة التي يفسر بها الإعجاز القرآني، والتي يتفاضل فيها البلغاء. إلى اللفظ أو المعنى أو إلى الصور البيانية، وإنما مرجعها إلى الأسلوب والأداء والصياغة النحوية للتعبير، وكان رأيه هذا إشعاعاً مضيئا ألهم "عبد القاهر الجرجاني" تفسيره للنظم.

تداولت هذه الكلمة (النظم) بين عديد من النقاد في ذلك الزمان أمثال: "سيبويه"، "الرماني"، "الخطابي"، "أبو الهلال العسكري" و "ابن قيبة".

لعل الذي عالج هذه القضية، بدقة ووضوح، قبل "عبد القاهر الجرجاني" هو: "القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد أبادي"؛ إذ يوضح النظم: {بالنئام الكلمات بعضها مع بعض ومراعاة الإعراب والحركات، فيجعل النحو ركنا مهما في النظم، حتى تتحقق له البلاغة، وأشار القاضي عبد الجبار إلى أن فكرة "النّظم"، لا تكون

في الكلمة المفردة، وإنما في ترابط بعضها ببعض، بصورة متميزة، يُراعى فيها تركيبها اللغوي والنحوي، بالنسبة لسواها، ممن هو معه في جملتها... ولابد أن يكون لكل كلمة صفة، وقد تكون هذه الصفة بالمواضعة التي تتناول، وقد تكون بالإغراب الذي له مدخل فيه، وعلى هذا النحو تظهر فصاحة الكلام ومزيته... ثم تناول مميزات اللفظ ومحاسنه وعيوبه، المعاني وجودتها، ليصل من خلال ذلك إلى عملية النظم التي برزت بشكل جلي بعد ذلك، على يد عبد القاهر الجرجاني؛ إذ يقول: {اعلم أن الكلام الذي قدمناه من أنَّ الكلام، إنما يدل بالمواضعة، وأن المتكلم به إذا كان حكيما، فلابد تجرد للكلام من أن يريد ما يقتضيه ظاهرهُ، وإلاّ كان مُأبسا أو مَعْمِي أو فاعلا فعلا قبيحاً، وأنَّ هذه الطريقة تقتضي في جميع الكلام أن يدل على حد واحد"(124)،

لم يقف "عبد الجبار" عند هذا الحد من التوضيح، بل تعداه إلى وجود التفاضل بفصاحة التعبير، إلى الحديث عن أبواب النحو وما ترسمه من فروق دلالية في العبارات، فهو لا يريد الحركات الإعرابية فحسب، بل يشير أيضا إلى ما هو أعمق من ذلك، وأعني به نظم الكلام، وهو نفس المعنى الذي أكده "عبد القاهر" في كتابه "دلائل الإعجاز". لذلك كان "القاضي عبد الجبار" سابقا إلى نظرية النظم التي أوضحها عبد القاهر فيما بعد.

# جهود عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم:

تحددت معالم النظم واتضحت قسماته على يد عبد القاهر الجرجاني دون غيره، لأن النظم قبل عبد القاهر لم يكن مقصودا عن عمد أو مدروسا بطريقة مباشرة، وإنما هي شيء عفوي، نابع من ملاحظات العلماء حين يُؤخذون بجمال الشِعر أو الإعجاز في القرآن الكريم في داخل هذا النطاق فحسب. أما عند عبد القاهر؛ فهو عمل مدروس، ومحور يدور حوله كتابه "دلائل الإعجاز" كله، وهو

<sup>(&</sup>lt;sup>123)</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص

القصد من تلك الدراسة الواسعة التي نهضت على أكتاف "النحو"، وعلى تماسك لَبنَاتِهِ، حتى أنه يُرجع كل جمال في النظم إلى مراعاة أحكام النحو.

تصدّى عبد القاهر الجرجاني لذلك التيار الذي اهتم باللفظ دون المعنى، وهاجم الدعوة إلى إهمال الشعر والانصراف عن علم النحو، لأن ذلك يؤدي إلى الصّد عن معرفة حجة الله في إعجاز القرآن، فأكّد في أكثر من موضع أهمية النّظم، وتوخي معاني النحو وأحكامه بين الكلم، بأنه كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنه يطلب المزية في معاني النحو وأحكامه، وتوخيها فيما بين الكلم، فإن اقتصر البعض على المزية المحصورة بنظم الكلم، وبأن النظم هو نَظمٌ للألفاظ دون المعاني. دون المزية الأخرى في توخي معاني النحو، فإنهم لم يصلوا إلى حقيقة الإعجاز باعتقادهم أن الفصاحة لا تظهر بأفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة و يقصد بهذا الكلام القاضي عبد الجبار الذي قال: {إنَّ المعاني لا تتزايد، وإنما تتزايد الألفاظ}.

نستتج من ذلك أن: عبد القاهر الجرجاني ليس من أنصار الألفاظ من حيث هي كَلِم مفردة، وليس من أنصار المعاني التي هي أساس كل شيء، بغض النظر عن تجانس الألفاظ و تلاحمها، وإنما هو من أنصار الصياغة، من حيث دلالة هذه الصياغة على جلاء الصورة الأدبية. كما أنه ليس ممن يتأرجح بين اللفظ والمعنى، بل هو ممن جمع بينهما وسوّى بين خصائصهما وجعلها شيئا واحدا يعتمد على الصياغة.

فأساس المفاضلة عنده هي صورة المعنى، لا المعنى الغفل الخام، وخضوع اللفظ في ترتيب الخارجي لترتيب الصورة المعنوية في النفس.

لا فضل بين الألفاظ ومعانيها، ولا بين الصورة والمحتوى، ولا بين الشكل والمضمون في النص الأدبي إن البلاغة في النظم لا في الكلمة المفردة ولا في مجرد المعانى، والباحث عن الإعجاز عليه أن يُشبعه في النظم وحده.

عرض لوجوه تركيب الكلام وفق أحكام النحو، مستنبطا الفروق بينهما، عارضا الأسرار المزية والحسن والبلاغة فيها.

# 13- النقد البلاغي

مفهوم النقد: النقد - كما سبق وأن ذكرنا - هو تخليص جيد الكلام من رديئه أو " تقويم النص الأدبي، في محاولة لإظهار النموذج الأكمل الذي كان يجب أن يكون "125.

### مفهوم البلاغة:

#### لغة:

"البلاغة مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري،..وقد سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب سامعه فيفهمه. ويقال بلغ الرجل بلاغة، إذا صار بليغا، ورجل بليغ: حسن الكلام، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه. والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم، وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ نوع من التوسع، وحقيقته أن كلامه بليغ، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه "126.

#### اصطلاحا:

لقد وجدت العديد من التعاريف لطائفة في تحديد مفهوم البلاغة، و يعد أبو هلال العسكري من أوائل البلاغيين الذين تتاولوا هذا اللفظ وحاولوا تحديد مفهومه، حيث يقول: "أنها تعني: بلوغ الغاية والانتهاء إليها، فمبلغ الشيء: منتهاه. ثم ذكر كما يعرفها 127أنها سميت كذلك لأنها: تنهي المعنى إلى قلب السامع أو عقله" الآمدي صاحب الموازنة فيقول: "إنها إصابة المعنى وأدارك الغرض بألفاظ سهلة عذبة، سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية... فإذا اتفق مع هذا معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن

<sup>9</sup> داود سلوم، مقالات في تاريخ النقد، بغداد، د.ت، ص $^{-125}$ 

 $<sup>^{126}</sup>$ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت، ص $^{127}$  أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق على بجاوي ومحمد إبراهيم الفضل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة  $^{4394}$ ه، ص $^{4394}$ .

ولعل أشمل هذه التعاريف قولهم:" هي وضع الكلام بنفسه واستغنى عما سواه" ولعل أشمل هذه التعاريف قولهم:" هي وضع الكلام في موضعه من طول وايجاز، وتأدية المعنى أداء واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر وهذا 129 خلاب، مع ملاءمة كل كلام للمقام الذي يقال فيه، وللمخاطبين به" يعني أن حقيقة البلاغة التي أجمع عليها النقاد القدماء، هي القدرة على توصيل المعنى بأسلوب جميل، أو بمعنى آخر هي تجليته بأحسن الأساليب المؤثرة، التي ترتكز على البيان وتوضح ما فيه من أسباب الروعة والجمال، وهي بذلك أقرب إلى الناحية الفنية، ما دامت قواعدها تقود إلى الإبداع، وأنها أكثر ما تهتم بالجانب الأسلوبي. وهكذا تكون البلاغة " العلم الذي يدرس ثلاثة جوانب من الكلام هي: علم المعاني ويدخل فيه تركيب الكلام وتحليله وما يترتب على ذلك من معنى يحدد النظم، وعلم البيان ويشمل البحث في الصورة وتأثيرها في التعبير، وعلم البديع ويضم ألوان التحسين بعد أن تتسق العبارة ويتجلى المعنى بأروع التصوير".

علاقة النقد بالبلاغة:

إن الحديث عن الأصول التي تجمع البلاغة بالنقد القديم إنما هو حديث ضارب في القدم، وذلك ارجع إلى الطاقة الجمالية التي تفرزها البلاغة العربية، ثم اعتماد أسباب هذه الطاقة في الأحكام النقدية. فالبلاغة تشتمل على عناصر جمالية وفنية ،والنقد يستند إلى هذه العناصر من أجل فهم النص، فالعلاقة بينهما علاقة الجزء وهي البلاغة بالكل وهو النقد، تولدت عنه ثم تحكمت فيه، وهذا ما يؤكده

<sup>128 -</sup> الآمدي، الموازنة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة ،4944، ج4، ص ص 111، 114.

<sup>41</sup> المرجع نفسه، ص $^{-129}$ 

<sup>4</sup>مد مطلوب، النقد البلاغي، -

محمد العمري قائلا: "إن أهمية البلاغة في بعدها البديعي تتبع من ارتباطها بالنص الشعري القديم، إذ تولدت عنه ثم تحكمت فيه" 131. وبذلك تولد لدينا نوع من النقد كانت فنون البلاغة أهم قواعده وأدواته النقدية وهو ما عرف بالنقد البلاغي.

## مفهوم النقد البلاغي:

"هو مصطلح مأخوذ من الجمع بين كلمتين النقد والبلاغة وذلك عن طريق إضافة الأول إلى الثاني، وهو بذلك يحمل مدلولين أحدهما المقصود منه النقد المعتمد على البلاغة وأن المفاهيم النقدية لهذا النقد مستقاة من القوانين البلاغية، والمدلول الثاني أن النقد يستفيد من البلاغة، لأنها أحد مصادر العناصر والأدوات التي يستخدمها أثناء أدائه "132.

فالنقد العربي بهذا المعنى قواعد بلاغية، وأن محاولة الفصل بينهما عملية افتعالية لا يقرها واقع النقد العربي ولا خصائص اللغة العربية. وقد كان القدماء صادقين مع أنفسهم عندما اتخذوا من أساليب البلاغة مقياسا في نقدهم، فقد اهتموا بفنون البلاغة لأنها تعرض للأسلوب، ومضوا في د دارستهم يتلمسون بناء العبارة وما فيها من صور، وقد تجلى ذلك من خلال كتبهم التي تعرضت لأسلوب القرآن الكريم. ومرجع غلبة الاتجاه البلاغي كما يذهب إلى ذلك أحمد مطلوب" خصوصية اللغة العربية في تفنن صياغتها، فكل تغيير في النظم يؤدي إلى تغيير في المعنى، بالإضافة إلى أسلوب القرآن الحافل بفنون البلاغة، الأمر الذي أثر في كلام العرب، فأخذوا بها واحتفوا بها كثى ار "133.

ومهما قيل فإن النقد العربي مرتبط بالبلاغة ارتباطا وثيقا لأنها أهم أركانه، ولم يكونوا مخطئين في ذلك، لأنهم كانوا شاخصين إلى الجمال الأدبي أو جمال

<sup>490</sup>، محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، 499، م $^{-131}$ 

<sup>-132</sup> محمد كريم كواز ، البلاغة والنقد ، المصطلح والنشأة والتجديد ، ط4 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، 2114 ، ص 423 ،

<sup>-133</sup> أحمد مطلوب، النقد البلاغي، ص4.

التعبير أو النظم وجمالا لأسلوب، فأمعنوا النظر في تركيبه من تقديم وتأخير، وحذف وقصر وتشبيه ومجاز وغيرها من صنوف البديع.

#### نشأة النقد البلاغي وتطوره:

أجمع الباحثون في دروس البحث البلاغي أنها لم تتشأ مكتملة الأبواب والمباحث وإنما كانت عبارة عن أفكار وملاحظات متناثرة على هامش العلوم العربية والإسلامية الأخرى. ومع مرور الوقت وبتأثير من الثقافات الأجنبية خاصة الثقافة اليونانية، وضعت القواعد وحددت المقاييس التي تقوم عليها الصناعة الأدبية. النقد البلاغي في العصر الجاهلي:

اشتهر العرب بفصاحة اللسان وروعة البيان، وقد بلغوا في ذلك مرتبة رفيعة صورها القرآن الكريم في أكثر من موضع حيث قال الله تعالى: " وان يقولوا تسمع لقولهم"134 وقد كانت لديهم القدرة على تمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبيين ما يجري فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير. ومن أكبر الدلائل على أنهم بلغوا في البلاغة درجة عالية أن كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وحجته على نبوته القرآن الكريم، حيث دعاهم إلى معارضته، وتحداهم بأن يأتوا في بلاغته الباهرة، وهي دعوة بلا شك تكشف تمكن هؤلاء العرب ورسوخ قدمهم في البلاغة. ومن ذلك أن النابغة كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارها فيقول كلمته فتسير في الناس لا يستطيع أحدا أن ينقضها. من ذلك قصته المشهورة في تفضيل الأعشى على حسان بن ثابت، وتفضيل الخنساء على بنات جنسها فثار لذلك حسان وقال له: أنا والله أشعر منك ومنها. وهذا يعني أن البلاغة في العصر الجاهلي قد عرفت لكن كفن جمالي ليس غير، ولا يدل عليها بمصطلح، وهذه الفنون البلاغية التي وردت في الشعر تشهد أن العرب كانوا يعرفون الأساليب المختلفة التي تزيد كلامهم جمالا. وبمرور الزمن ذكر العلماء لهذه الأحكام والملاحظات النقدية تعليلات تقوم على أسس بيانية وتحول هذا النقد إلى نقد بياني ينظر إلى المعانى والألفاظ على أيدى البلاغيين.

<sup>134</sup> سورة المنافقون، الآية 1.

# النقد البلاغي في صدر الإسلام وعصر بني أمية:

لا شك أن للقرآن تأثير عظيما على نشأة الدرس البلاغي، فقد عكف العلماء على دارسته وبيان إعجازه، واتخذوه مدار للدرس البلاغي، فاتخذوا آياته شواهد على أبوابه واعتبروه مثالا يحتذي به في جمال النظم ودقة التركيب، أضف إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان أفصح العرب وأشدهم اهتماما بالشعر، يحرص على سماعه وتذوقه ويشجع الشعراء على قوله دفاعا عن دعوته 135، إذ طالما ردد "إن من البيان لسحر"، يضاف إلى ذلك بلاغة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

" وإذا انتقانا إلى عصر بني أمية نجد فيه ازدهار الخطابة بجميع أنواعها: سياسية وعظية، "وكان من أشهر خطبائهم في السياسة: زياد بن أبيه، والحجاج، وفي المحافل: سحبان وائل، وفي الوعظ غيلان الدمشقي، والحسن البصري، وواصل بن عطاء".

# النقد البلاغي في العصر العباسي:

والحق أن الملاحظات البيانية كثرت في هذا العصر، ونما العقل العربي نموا واسعا، فكان طبيعيا أن ينمو النظر في بلاغة الكلام، وأن تكثر الملاحظات المتصل بحسن البيان ،لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب، بل في مجال الشعر والشعراء، واشتد التنافس بين الشعراء وشجعهم الخلفاء والولاة والقواد. فكان يتخير كل منهم معانيه وألفاظه، لتصغي لها القلوب وتميل نحوها الأسماع، كما اشتدت المحاورات بينهم، وكانوا يعنون بجودة الأساليب ودلالتها على المعاني، مما كان له أثر في البلاغة والنقد وترقية الذوق الذي يستطيع أن يميز بين الشعراء. وبهذا ازددت الملاحظات البيانية والأدبية، فكان لها أثر فعال في وضع لبنات البلاغة.

<sup>135-</sup> ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص21... ص24، محمد طاهر درويش، في النقد الأدبي عند العرب، ص14،

 $<sup>^{-136}</sup>$  ينظر الجاحظ البيان والتبيين ج4، ص ص 41، 44.

### جهود اللغويين في إرساء النقد البلاغي:

ومن الذين أسهموا في تطوير الدرس البلاغي علماء اللغة من أمثال سيبويه هر "الذي يعرض في كتابه بعض الخصائص الأسلوبية التي عنى بها فيما 182)ت بعد علم المعاني من مثل التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف ،ومن حين والفراء )ت <sup>137</sup>إلى آخر نرى أشارت إلى بعض مسائل بيانية في الكتاب هروكتابه معاني القرآن الذي عني فيه بشرح آي الذكر الحكيم شرحا بسط فيه 727 الكلام في التركيب وتأويل العبارات، وتحدث فيه عن التقديم في الألفاظ والتأخير والإيجاز والإطناب، والمعاني التي تخرج إليها بعض الأدوات كأداة الاستفهام كما أشار إلى بعض الصور البيانية مثل التشبيه والكناية والاستعارة، مما كان له أثر في البحث البلاغي.

وعلى كل حال فإن أكثر أصول البلاغة نبتت من أفكار هؤلاء اللغوبين والنحاة، والحق أن أكثر علماء البلاغة وعيا بأهدافها ودقائقها هم الذين تعمقوا في أسرار اللغة.

تم كثرت بعد ذلك المؤلفات المتخصصة في البلاغة والنقد وإعجاز القرآن الكريم ومن هذه المؤلفات البيانية التي كان الأثر الواضح في بعث النشاط الأدبي والنقدي ومن ثم إرساء الفكر البلاغي: كتاب البيان والتبيين والحيوان للجاحظ.

# 14- تراجم أعلام المشرق والمغرب.

هذه تراجم لمجموعة من أعلام النقد في المشرق العربي، أسماء لامعة ساهمت في نشأة النقد، أو ممن كان لهم النصيب الأوفر في نموه وتطوره. وهي تراجم ستكشف عن أذواق عربية خالصة في تتاول النص الأدبي، كما تكشف عن بعض النقاد الذين تأثروا بمختلف الثقافات التي كانت تموج بها البلاد الإسلامية

عبد العاطي غريب على علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، د.ت، 24

آنذاك من فارسية إلى يونانية أو هندية، ساهمت كلها في صياغة أروع الآراء والأفكار حول العملية الإبداعية.

## 1-ابن سلام الجمحى:

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي البصري، مولى قدامة بن مظعون الجمحي، مولده بالبصرة سنة 139هـ ووفاته ببغداد سنة 130هـ "تروي لنا كتب التراجم كيف ابيضت لحية أرسه وله سبع وعشرون سنة "138 فبالإضافة إلى أنه من الرواة والنحاة ومن جملة أهل الأدب ومن لغويي أهل البصرة ،كما عده الزبيدي " فإنه أيضا أول ناقد عربي يؤلف كتابا متخصصا في النقد يلخص آراء السابقين ممن أسهموا في هذا المجال، ويضيف أفكا ار نقدية مهمة تتصل بالشعر والشعراء وبالنقد والناقد "139". عمّر نحوا من ثلاث وتسعين سنة، وسمع شيوخ العلم والحديث والأدب، وسمع منه شيوخ العلم والحديث والأدب. من أهم الكتب التي تركها طبقات فحول الشعراء، كتاب غريب القرآن، كتاب الفاضل، كتاب بيوتات العرب...وغيرها.

# 2-الجاحظ:

هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكناني، ولد بالبصرة حوالي لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه أي نتوهما، لذلك يعرف بالحدقي أيضا، عاش في البصرة فقير الحال، وبدأ بالتعلم وهو طفل صغير، لكن الفقر حال دون تفرغه للعلم، فصار يبيع السمك والخبز في النهار ويكتري دكاكين الوارقين في الليل، فكان يقرأ منها ما يستطيع قرأته. أخذ العلم عن أشهر علماء الأمة في كل فرع من ف روع المعرفة، "سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن وكان صديقه، وأخذ الكلام عن النظام، وتلقف الفصاحة عن

 $<sup>^{-138}</sup>$  ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج4، ص34، ينظر ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج4، ص $^{-138}$  ص $^{-138}$ 

 $<sup>^{139}</sup>$  كمال عبد العزيز إبراهيم، نقد النقد رؤية في التنظير والمنهجية لدى القدماء، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4،  $^{23}$ 

العرب 140 شفاها بالمربد". انتقل إلى بغداد وهناك ذاعت شهرته، فأصبح مدرسا عظيما، فولاه الخليفة العباسي المأمون ديوان الرسائل. "عرف بالظرف والسخرية البارعة والنقد الصائب، والميل إلى الاستطراد، والولوع بالجدل وإقامة الحجج وتفنيدها إلى حد جعله يدافع أحيانا عن ال أري وضده "141. لم يكتب أديب مقدار ما كتبه الجاحظ، فهو لم يترك بابا إلا ولجه ولا بحثا إلا وجال فيه، ومن أهم الآثار التي تركها الحيوان في سبعة أجزاء ،البخلاء، البيان والتبيين في أربعة أجزاء، ومجموعة من الرسائل الأدبية. عرف القدماء فضل مؤلفات الجاحظ وشهدوا له بالإجادة فيها. يقول ابن العميد:" كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب

#### 3-ابن قتيبة:

هو أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة ولد بالكوفة سنة بالدينوري لأنه كان قاضي الدينور، من أصل فارسي "أخذ نصيبا ضخما في اللغة والأدب والثقافة العربية الرصينة... كان له حظ كبير من العلوم الشرعية والدينية... كانت له مشاركة في الفلسفة والبلاغة والمنطق "143. تخبرنا كتب التراجم أنه "علم من أعلام الإسلام، وإمام حجة من أئمة العلم، وكان لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب أهل السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة "144. وعنه قال محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم أنه كان يغلو في البصريين، إلا أنه خلط المذهبين، وحكى في كتبه عن الكوفيين، وكان صادقا في ما يرويه، عالما باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف "145. وفي بغداد اتصل بكبار رجال الدولة فعرف منهم وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان وابنه المعتمد.

\_

<sup>140</sup> ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج49، ص94

منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 4992، ص $^{-141}$ 

<sup>439</sup> صيسى على العاكوب، النقد الأدبي عند العرب، ص $^{-142}$ 

<sup>.422</sup> طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص $^{-143}$ 

 $<sup>^{-144}</sup>$  ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة المدني، القاهرة، ص $^{-44}$ 

<sup>444</sup> ابن النديم، الفهرست، المطبعة الرحمانية، مصر، ص $^{-145}$ 

اتجه ابن قتيبة في مطلع حياته إلى علم الكلام واجتذبته أضواؤه، فجلس إلى كثير من علماء الكلام، وقد أفاده اطلاعه على هذه الآراء الجدل والمناقشة إذ قارعهم الحجة بالحجة، ودافع عن أهل السنة والحديث. "تأثر ابن قتيبة بآراء أبي حاتم السجستاني، وشيخه المحدث إسحاق بن راهويه، ودافع عنها "146. توفي سنة 200ه. له من الكتب العديد منها: معاني الشعر الكبير ،عيون الشعر، عيون الأخبار، الحكاية والمحكي، أدب الكاتب، الشعر عن والشعراء... وغيره عبد الله بن المعتز: "سئل الشاعر البحتري، هل تستطيع أن تصف الهلال بما وصفه به عبد الله بن المعتز، حين قال:

وانظر إليه كزورق من فضة قد أثقاته حمولة من عنبر فأجاب: ويحك هذا ابن ملك، أرى ما في قصر أبيه فوصفه، وأنّى لي هذا؟" ألا ولا سنة 700ه بمدينة سامار مدينة المعتصم عاصمة الخلفاء العباسيين، ومنارة الحضارة والعلم والأدب في الدولة الإسلامية. "وفي القرن الثالث ولد الأمير العباسي أبو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله بن الخليفة محمد المهدي بن الخليفة جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم "148. وصف أبو الفرج الأصبهاني حياته المترفة بقوله: "تشأ في ميادين من النور والبنفسج والنرجس... وفاخر الفرش، ومختار الآلات، ورقة الخدم "149 تتلمذ على يد جهابذة عصره في الأدب والنحو ومختار الآلات، ورقة الخدم الأديب الشهير والنحوي البليغ، وأبو العباس ثعلب الفلسفة منهم أبو العباس المبرد الأديب الشهير والنحوي البليغ، وأبو العباس ثعلب اللغوي الكبير ، وبذلك غدا ابن المعتز علما من أعلام الشعر العربي وشاعر من العربي قال عنه محمد مندور:

\_

 $<sup>^{-146}</sup>$  بشرى عبد المجيد تكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، ص $^{-146}$ 

<sup>-147</sup> المرجع نفسه، ص-111.

<sup>&</sup>lt;sup>148</sup>،المرجع نفسه ص411.

 $<sup>^{-149}</sup>$  المرجع نفسه ص $^{-149}$ 

"يبدأ تفكيره من الوقائع والنظر فيها وهو عربي صميم سليم الذوق. يعرف الشعر العربي ويتنوقه "وقال عند أحمد إبراهيم: "كان كثير السماع غزير الرواية، يلقى العلماء من النحوبين والإخباريين، ويقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، ولكنه كان مع كل ذلك بارعا في الأدب حسن الشعر، مهتما بنقد المحدثين "نتك ابن المعتز ت إرثا أدبيا قيما منه: كتاب أشعار الملوك ،كتاب الآداب، كتاب الجامع في الغناء، كتاب السرقات، وكتابه الشهير في النقد "البديع" الذي جمع فيه أبواب البديع ورتب محاسن الكلام وحدد خصائص هذا المذهب الجديد وكتاب طبقات الشعراء المحدثين الذي أنصف من خلاله الشعر المحدث، ديوان شعر وقد وصف الأصبهاني شعره فقال: "كان فيه رقة الملوكية، وغزل الظرفاء، وهلهلة المحدثين، فإن الأصبهاني شعره فقال: "كان فيه رقة الملوكية، وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين، فإن بفحول الجاهلية "152. توفي مقتولا سنة 90ه بعد أن اعتلى عرش الخلافة يوما وليلة فقط، فكان بذلك حلقة في سلسلة مهزلة الإطاحة بخلفاء بني العباس على أيدي وليلة وقط، فكان بذلك حلقة في سلسلة مهزلة الإطاحة بخلفاء بني العباس على أيدي

# ابن طباطبا:

"هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب". 153عالم وشاعر أديب، ولد وتوفي بمدينة أصبهان ، لا يحفظ له التاريخ عام ميلاده، وان ذكر وفاته التي كانت سنة على علنت أصبهان في هذا العصر (نهاية الق رن الثالث ومطالع القرن الرابع) وإخرة بالنشاط، غنية بمواردها وتجارتها ،ونواديها الأدبية والعلمية وقد وصفها جماعة من العلماء فأسهبوا... قال فيها ياقوت الحموي: وهي مدينة عظيمة مشهورة، من العلماء فأسهبوا... قال فيها ياقوت الحموي: وهي مدينة عظيمة مشهورة، من

محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص $^{-150}$ 

<sup>151 -</sup> طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص442.

القديم، الفرج الأصبهاني، الأغاني، ج41، ص291، نقلا عن بشرى عبد المجيد، النقد الأدبي القديم، ص444

<sup>.241</sup> ياقوت الحموي، معجم الأدباء،دار إحياء التراث، الطبعة الأخيرة، ج2، ص $^{-153}$ 

أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمتها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف"154.

أسهم ابن طباطبا في مجال النقد والأدب بعدد من الكتب منها: كتاب عيار الشعر، كتاب العروض الذي وصفه ياقوت الحموي في معجم الأدباء "بأنه لم يسبق إلى مثله" 155، كتاب في تهذيب الطبع، كتاب في معرفة المعمّى من الشعر، ولم يبق من هذه الكتب إلا عيار الشعر الذي يعتبر "دارسة موضوعية فنية لصنعة الشعر، وقياس جيده ورديئه معتمد على ما استمده مؤلفه من دراسات السابقين من علماء الشعر ورجال البيان، وعلى خبرته الخاصة في هذا المجال، هذا الجانب من التأليف النقدي يرتكز على التأصيل أكثر من تركيزه على التطبيق" 156.

#### قدامة بن جعفر:

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، لا يعرف له نسب فوق جده زياد، مجهول الميلاد، غير أنه أدرك كما يقول ياقوت الحموي "زمن تعلب والمبرد وأبي سعيد السكري وابن قتيبة وطبقتهم، والأدب يومئذ طريء فقرأ واجتهد "<sup>157</sup>. قال عنه ابن النديم: "كان نصرانيا وأسلم على يد المكتفي بالله، وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ،ممن يشار إليهم في علم المنطق، وكان أبوه جعفر ممن لا تفكر فيه ولا علم عنده "<sup>158</sup>.

نشأ في بغداد، فقرأ واجتهد واشتهر بالبلاغة ونقد الشعر، حيث استكمل بعد ابن المعتز تأسيس علم البديع وتوضيح معالمه وتحديد نهجه. ترك العديد من المصنفات كشفت عن تأثره بمختلف الثقافات التي كانت تموج بها المدينة الإسلامية: العربية والفارسية واليونانية والهندية "إذ كانت حركة الترجمة في القرنين الثاني

<sup>154</sup> بشرى عبد المجيد تكفراست، النقد الأدبي القديم في تقويم النقاد المحدثين، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر، مراكش، ط2، 2143، ص211.

<sup>&</sup>lt;sup>155</sup>- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص241.

<sup>.214</sup> بشرى عبد المجيد تكفراست، النقد الأدبي القديم في نقويم النقاد المحدثين، ص $^{-156}$ 

 $<sup>^{-157}</sup>$ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، ط $^{-158}$ 0 ص $^{-159}$ 

<sup>.411</sup> بن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، المطبع الرحمانية بمصر، د.ت، ص $^{-158}$ 

والثالث قد قربت بين الثقافات المختلفة من هندية وفارسية ويونانية وعربية، وفتحت عيون المثقفين على مصادر علمية وفكرية جديدة"159.

ولقد أحصى منها صاحب الفهرست العديد منها: كتاب نقد الشعر والذي كشف من خلاله على تبصره بالشعر العربي وتذوقه له، كتاب جواهر الألفاظ والذي يدل على إحاطته التامة بالمفردات العربية وعلى ذوقه الموسيقي في تخير الألفاظ وتأليفها، كتاب الخ ارج فيكشف عن تأثره بالثقافات الأجنبية الأخرى، كتاب الرد على ابن المعتز، كتاب صرف الهم، كتاب جلاء الحزن ،كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر وغيرها. وقد كشفت هذه الكتب على طريقته الخاصة في التأليف التي تجمع إلى غزارة المادة وعمق التفكير، حسن الترتيب وسهولة العبارة وإيجازها.

توفى قدامة سنة 337 ه ببغداد في خلافة المطيع العباسي.

## الحسن بن بشر الآمدي:

هو أبو القاسم بشر بن يحيى الآمدي البصري المتوفى سنة 371ه. كان كانبا شاعرا وأديبا ناقدا، إليه انتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عم ره بالبصرة. "أخذ النحو واللغة عن علي بن سليمان الأخفش الأصغر، وأبي إسحاق الزجاج وأبي بكر بن دريد، وكان معنيا كل العناية بالشعر ونقده وألف في ذلك كتبا "160. قال عنه ابن النديم في كتابه الفهرست" مليح التصنيف جيد التأليف، متعاطي مذهب الجاحظ فيما يعلمه من الكتب "161. أما ياقوت الحموي فقال عنه: "كان حسن الفهم، جيد الدراية والرواية، سريع الإدراك "162. معظم الكتب التي أثرت عنه تتمحور حول معاني الشعر والسرقات والنقد "حتى لكأنه تخصص فيه "163. من مؤلفاته: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تفضيل شعر امرئ القيس، ما في عيار الشعر لابن طباطبا

<sup>159</sup> إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص414.

<sup>444</sup> طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص $^{-160}$ 

<sup>224</sup>ابن النديم، الفهرست، ص $^{-161}$ 

<sup>94</sup>س باقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، س

<sup>441</sup>محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب، ص $^{-163}$ 

من الخطأ، معاني شعر البحتري، المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء، كتاب تبيين غلط قدامة في كتاب نقد الشعر كتاب فعلت وأفعلت، ديوان شعر.

## القاضى الجرجاني:

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، قاضي الري في أيام الصاحب بن عباد، "ولد سنة 200ه بجرجان نشأ بها وكان أديبا أريبا كاملا. مات بالري سنة 366ه وهو قاضي القضاة بالري حينئذ "164. تتلمذ على يد مشايخ وقته وعلماء عصره. اشتهر بالفقه، واشتغل بالتاريخ "كان شاعرا من المجيدين وكاتبا فحلا، وقد قرأ عليه الإمام عبد القاهر كبير البلاغيين "165. قال فيه صاحب اليتيمة "حسنة جرجان وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودرة تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ، ونظم البحتري، وينظم عقد الإحسان والإتقان في كل ما يتعاطاه"166.

ومن أبرز آثاره تفسير القرآن، كتاب الأنساب، كتاب تهذيب التاريخ، كتاب الوساطة بين المتتبي وخصومه "الذي أحسن فيه وأبدع، وأطال فيه وأطاب... وأعرب فيه عن تبحره في الأدب وعلم العرب وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد، فسار الكتاب سير الرياح، وطار في البلاد بغير جناح "167. كما ترك ديوان شعر متميز وصفه ابن خلكان بأنه "جمع بين العذوبة والجزالة، وترقرق فيه شمائله السمحة الرضية، ونفسه الكريمة الأبية "168.

#### عبد القاهر الجرجاني:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي المتكلم على مذهب الأشعري...واضح أسس البلاغة، والمشيد لأركانها، وفاتح مغلق أبوابها،

 $<sup>^{-164}</sup>$  ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ط الأخيرة، دار إحياء التراث، ج $^{-44}$ ، ص $^{-164}$ 

<sup>.444</sup> طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص $^{-165}$ 

 $<sup>^{-166}</sup>$  ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج $^{-41}$ ، ص ص  $^{-22}$ 

<sup>21</sup>المرجع نفسه، ص $^{-167}$ 

<sup>168</sup> عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، ط4

وكاشف خبيئها، وموضح مشكلاتها، وعلى نهجه سار المؤلفون بعده، ونهلوا من معينه، واغترفوا من بحره وأتموا البنيان الذي وضع أسسه 169 ولد بجرجان حوالي سنة 2022ه، من أسرة فارسية، يبدو أنها رقيقة الحال، لم تجد فضلة من المال تتفقها على ابنها، كي يستطيع أن يتنقل في البلاد يأخذ العلم من أعلامه فظل بجرجان لا يبرحها 170 . تذكر كتب التاريخ أنه أخذ العلم عن أستاذ واحد وهو الإمام النحوي أبو الحسين محمد بن علي الفارسي حسين بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث وهو ابن أخت أبي علي الفارسي، "وممن ق أر لهم وورد ذكرهم في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز: الخليل بن أحمد، سيبويه، الزجاج، أبو العباس تعلب وابن جني وأبو علي الفارسي وغيرهم، وممن ق أر لهم في الأدب والنقد والبلاغة: الجاحظ ،ابن وأبو علي الفارسي وغيرهم، وممن ق أر لهم في الأدب والنقد والبلاغة: الجاحظ ،ابن وأبو مالمرزباني وابن العميد والهمذاني، وأبو هلال العسكري وغيرهم 171.

ترك نتاجا أدبيا ضخما كشف من خلاله على بصيرة نافذة ووعي كامل في التدوين والتأليف، وعلى قدرة فائقة في التذوق والنقد، وطبع سليم في تفهم الأساليب العربية شعرا ونثرا. ومن بين هذه الكتب: الإيجاز، كتاب الجمل في النحو ويسميه الناس "الجرجانية"، كتاب المفتاح، كتاب شرح الفاتحة، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة. توفي الإمام بجرجان سنة 170ه.

<sup>169</sup> أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، طبعة الحلبي ،4941، ص411

<sup>412</sup>المرجع نفسه ص $^{-170}$ 

عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن -171 سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت ،د.ت،-29

# قائمة المصادر والمراجع:

- 1 ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، منشورات محمد علي بيوض، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1222ه، 2010م.
  - 2- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، دار الآثار للنشر، ط 1، 2010.
- 3- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط1، 2005.
  - 4- الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط 1، 1996.
- 5- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1418ه، 1998م.
  - 6- ابن المعتز: البديع، شرحه وحققه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ، 2012م.
  - 7- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، ط1، 1995.
  - 8- ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، ط 2، دار الكتب العلنية، بيروت، لبنان، 2005م، 1426ه.
  - 9- الآمدي: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط4.
- 10- القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، ط1، 1998.

- 11- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة دار المدنى، القاهرة، جدة.
  - 12- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، صححه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا، دار الكتب العمية، بيروت، لبنان، 1409ه، 1988م.
- 13- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد محمد محى الدين، ط5، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1971.
  - 14- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981.
- 15- قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وأعلامه، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003.
  - 16- مصطفى عبد الرحمان إبراهيم: في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، مصر، 1419ه، 1998م.
- 17- عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط3، 1986.
- 18- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، الأردن، عمان، ط 1، 1993.
- 19- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 1996

- 20- وجيهة محمد المكاوي، في النقد الأدبي القديم، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2017.
  - 21- سامي يوسف أبو زيد، النقد العربي القديم، ط1، دار المسيرة، عمان،2013.
    - 22- عبد المطلب زيد، محاضرات في النقد الأدبي القديم، ط1، جامعة القاهرة، 2018.
    - 23- سلام محمد زغلول، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري)، منشاة المعارف بالإسكندرية.
    - 24- عياد شكري محمد، أرسطو في الشعر (ترجمة ودراسة)، مصر، دار الكاتب العربي، للطباعة والنشر، 1967.
- 25- البديعي يوسف، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ط2، دار المعارف، مصر، 1963.
  - 26- ابن رشيق، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1972.
    - 27 أدب الكاتب، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
  - 28- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، 1979.
  - 29- عتيق عبد العزيز، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط2، دار النهضة العربية، لبنان، 1972.
    - 30- احمد مطلوب، دراسات بلاغية ونقدية، (د.ط)، دار الرشيد للنشر، 1980.

- 31- العسكري، المضمون في الأدب، ط4، مطبعو حكومة الكويت، الكويت، 1984
- 32- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ط دار الحكمة بيروت، لبنان.
- 33- المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء تح، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.
- 34- محمد مرتاض، النقد الأدبي في المغرب العربي (بين القديم والحديث)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر، ط1، 2015م.
- 35- يحياوي أحمد، مفهوم الشعر في التراث النقدي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر ،2017.
- 36- إسماعيل خلباص حمادي، (1989)، الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا، غير منشورة لنيل شهادة الماجستير (النقد الأدبي)، كلية التربية، جامعة.
  - 37- داود سلوم، مقالات في تاريخ النقد، بغداد، د.ت.
  - 38- محمد كريم كواز، البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، ط4، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ،2114.
    - 39− عبد العاطي غريب على علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- 40- كمال عبد العزيز إبراهيم، نقد النقد رؤية في التنظير والمنهجية لدى القدماء، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4، 2141.